الفصل الرابع

أشهر خطب التاريخ العربي

خطب العصر الجاهلي

ومن مشهوري العرب الجاهليين في الخطابة قيس بن خارجة بن سنان، خطيب داحس والغبراء[1]، وفي هذه الموقعة اشتهر خويلد بن عمرو الغطفاني بخطبه في حرب الفجار[2]، وقس بن ساعدة الأيادي[3] خطيب عكاظ، وأكثم بن صيفي[4]، والحارث ابن عباد[5]، وقيس بن مسعود[6].

---

(1) داحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد عبس، راهن بهما حذيفة بن بدر ليسابق فارسيه الخطار والحنفاء، وقد سبقت الغبراء فردها كمين كانت فزارة قد أعدته، فتخلفت، وقامت بذلك حرب بين عبس وفزارة، ثم امتدت إلى حرب بين عبس وذبيان، وقصص هذا الحادث طويل يحسن أن ترجع إليه في كتب الأدب.

(2) حرب نشبت بين ريش وهوازن ـ سميت بذلك لأنهم تفاجروا فيها، وكانت في الأشهر الحرم، وقد شهدها رسول الله ﷺ، وكان ينبل على أعمامه فيها، أي يقدم لهم النبل.

(3) أشهر خطباء العرب الجاهليين على الإطلاق، كان يدين بالتوحيد ويؤمن بالبعث، ويدعو إلى نبذ عبادة الأوثان، يقال إنه أول من قال: «أما بعد»، وأول من اتكأ على عصا أو نحوها، وكان حسن الألفاظ واضح العبارة، وكان الناس يتحاكمون إليه ويرضون حكومته، وهو القائل: «البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر» تلك العبارة التي رضيها الإسلام وأقرها.

(4) من الخطباء البلغاء المولعين بسرد الحكم وضرب الأمثال، أوفده النعمان بن المنذر رئيساً على وفد من الخطباء إلى كسرى، فأعجب به، وقال له: لو لم يكن للعرب غيرك لكان ذلك كافياً لهم، وخطبته أمام كسرى مليئة بالحكم والأمثال.

(5) من الخطباء البلغاء له مواقف محمودة في حرب داحس والغبراء، وله فيها شعر جيد أيضاً وهو من قبيلة بكر.

(6) قيس بن مسعود بكري أيضاً، من الخطباء ومن الأجواد الكرماء، كانت العرب جميعاً تقر له بالفضل والسيادة، كان له حظيرة بها مائة من الإبل مخصصة للأضياف تقيد واحدة منها للنحر، فإذا نحرت قيدت أخرى ـ وهؤلاء جميعاً شرفاء كرماء تدل مواقفهم على أن العرب كانت تتأثر بمكانة الخطيب الاجتماعية.

خطبة المأمون الحارثي[1]

قعد المأمون الحارثي في نادي قومه، فنظر إلى السماء والنجوم وفكر طويلاً ثم قال:

«أرعوني أسماعكم، واصغوا إلي بقلوبكم، يبلغ الوعظ منكم حيث أريد: طمح[2] بالأهواء الأشر[3]، وران على القلوب الكدر[4]، إن فيما نرى لمعتبراً لمن اعتبر، أرض موضوعة، وسماء مرفوعة، وشمس تطلع وتغرب، ونجوم تسرى فتعزب، وقمر تطلعه النحور[5]، وتمحقه أدبار الشهور[6]، وعاجز مثر، وحول[7] مكد، وشاب محتضر[8] ويفن قد غبر[9]، وراحلون لا يؤوبون، وموقوفون لا يفترون، ومطر يرسل بقدر، فيحيى البشر، ويورق الشجر، ويطلع الثمر، وينبت الزهر، وماء يتفجر من الصخر الأير[10]، فيصدع المدر عن أفنان الخضر، فيحيي الأنام، ويشبع السوام[11]، وينمي الأنعام، إن في ذلك لأوضح الدلائل على المدبر المقدر، البارىء المصور.

يا أيها العقول النافرة[12]، والقلوب النائرة[13]، أنى تؤفكون[14]، وعن أي سبيل تعمهون[15] وفي أي حيرة تهيمون، وإلى أي غاية توفضون[16] وكشفت الأغطية عن

---

(1) يروى المأمور الحارثي بالراء أيضاً.
(2) طمح ذهب، والطماح ككتاب، النشوز والجموح.
(3) الكبر والبطر، أي أن الكبرياء ضللت الناس.
(4) ران: غطى، والكدر للغيم والكدرة.
(5) نحر النهار والشهر أوله، يريد قمر تطلعه أوائل الشهور.
(6) تمحوه أواخر الشهور، فينحل ثم يختفي.
(7) الحول: الشديد الاحتيال أي الذي يحاول محاولات كثيرة، يقال: حول بالتشديد وبفتح الواو كصرد، وحولة ـ كهمزة بسكون الواو وفتحها: فقير لا مال معه.
(8) محتضر بالحاء حضرته الوفاة، وبالحاء المعجمة: ميت في فتوته، يقال اختضر الشخص: إذا مات في شبابه.
(9) اليفن: الشيخ المسن.. وغبر عاش وبقي. يقال غبر بمعنى مات وعاش. والغابر الماضي والمقبل.
(10) الصلب الشديد.
(11) الماشية التي تسام وترعى.
(12) الجامحة التي لا تريد أن تأنس وتفكر.
(13) أي ذات النائرة. والنائرة العداوة أو هو وصف بالمصدر مثل زيد عدل.
(14) إلى أي اتجاه ينصرفون. من أفك يأفك.
(15) من عمه بمعنى تحير. يعجب كيف يتحيرون في البحث عن الطريق الحق وهو واضح أمامهم.
(16) تسرعون، من أوفض.

القلوب، وتجلت الغشاوة عن العيون، لصرح الشك عن اليقين[1]، وأفاق من نشوة الجهالة من استولت عليه الضلالة».

خطبة قس بن ساعدة[2]

لقس بن ساعدة خطبة مشهورة سمعها منه رسول اللهﷺ وهو يخطبها في سوق عكاظ، وأعادها أمامه رجل من أياد، فاكتسبت بذلك شهرة، وهي أيضاً من الخطب المبشرة بظهور الإسلام.

قدم وفد أياد على رسول اللهﷺ عام الوفود، فسألهم عن قس فقالوا: مات. فقال: «كأني أنظر إليه بسوق عكاظ في جمل له أورق[3] وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه». فقال رجل من الوفود: أنا أحفظه. قال رسول اللهﷺ: «كيف سمعته يقول؟» قال سمعته يقول:

«أيها الناس: اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات[4]، وكل ما هو آت آت[5]، ليل داج[6]، ونهار ساج[7]، وسماء ذات أبراج[8] ونجوم تزهر[9]، وبحار تزخر[10]، وجبال مرساة، وأرض مدحاة[11]، وأنهار مجراة، إن في السماء لخبراً[12]، وإن في الأرض لعبراً[13]، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا، يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه، إن لله ديناً هو أرضى لكم وأفضل من

---

(1) صرح عنه: تكشف عنه، أي لو فكرتم لانكشف الشك وتجلى اليقين.
(2) تقدمت ترجمة له.
(3) أبيض في سمرة ـ رمادي اللون.
(4) ذهب ولا يعود.
(5) ما هو مقدر لا مفر منه.
(6) مظلم.
(7) ساكن منتشر.
(8) البرج: صورة من مجموعة كواكب تشبه صورة حيوان أو غيره، ويسميها الفلكيون بأسماء أشكالها. فيقولون برج الجدي والثور والحوت والدلو.. والأبراج اثنا عشر برجاً تقابلها الشمس على طول السنة، ويظهر أن قساً يتحدث عن النجوم بوجه عام.
(9) تضيء.
(10) مليئة بالماء تطمي به وترتفع.
(11) مبسوطة، والفعل ثلاثي واسم المفعول منه مدحو. وجاءت الكلمة مدحاة لمشاكلة أخواتها.
(12) دليلاً على خالق عظيم.
(13) عظات وخيرات.

دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكراً.

ثم أنشأ يقول:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إلى ... ولا من الباقين غابر[1]
أيقنت أني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

وقد جاءت هذه الخطبة بروايات تزيد وتنقص، والذي ـ وعلى فرض انتحال كل هذه الخطب ـ نجد فيها سمات الخطب الجاهلية، لأن واضعها تحرى جهده أن يجعلها مشابهة لطريقتهم حتى تجوز على الناس، واختلاف روايات الخطب دليل على أنها زيد فيها، وليست الخطبة الواحدة من صنع شخص واحد.

خطبة كعب بن لؤي

وخطبة كعب بن لؤي تجري على نسق الخطبتين السابقتين وهي:

«اسمعوا وعوا، وتعلموا تعلموا، وتفهموا تفهموا، ليل ساج، ونهار ضاج[2]، الأرض مهاد، والجبال أوتاد، والأولون كالآخرين، كل ذلك إلى بلاء، فصلوا أرحامكم وأصلحوا أموالكم، فهل رأيتم من هلك رجع؟ أو ميتاً نشر؟ الدار أمامكم، والظن خلاف ما تقولون، زينوا حرمكم وعظموه، وتمسكوا به ولا تفارقوه، فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم».

ثم قال أربعة أبيات من الشعر منها:

تهاويل ليل واختلاف حوادث ... سواء علينا حلوها ومريرها
على غفلة يأتي النبي محمد ... فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

وهي ظاهرة الوضع، ولا تحتاج إلى تفنيد.

من خطبة أكثم بن صيفي أمام كسرى

«إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكهم، وأفضل الملوك أعمها نفعاً،

(1) مقيم، يريد أن الناس يذهبون للموت ولا يرجعون.

(2) ضاج بالجيم مخفف صاج ـ اسم فاعل من ضج، أي نهار مليء بالعمل والحركة.

وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء أصدقها، الصدق منجاة، والكذب مهواة[1]، والشر لجاجة[2]، والحزم مركب صعب[3] والعجز مركب وطيء، آفة الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر[4]، وخير الأمور الصبر، وحسن الظن ورطة، وسوء الظن عصمة، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي[5]، من فسدت بطانته[6] كان كالغاصّ بالماء[7] شر البلاد بلاد لا أمير بها، شر الملوك من خافه البريء، المرء يعجز لا المحالة[8]، أفضل الأولاد البررة، خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة، أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته، يكفيك من الزاد ما بلغك[9]، حسبك من شر سماعه[10]، الصمت حكم[11] وقليل فاعله، البلاغة الإيجاز، من شدد نفر[12] ومن تراخى[13] تألف».

ومن خطبه المشهورة خطبة له يدعو بها قومه إلى الإسلام وينصحهم باتباع نبيه، وذلك أنه لما ظهرت دعوة الإسلام بعث أكثم ابناً له يدعى حيشاً فأتاه بخبره وموقف قومه منه وما يدعوهم إليه، فدعا أكثر قومه في جمع ثم دعاهم إلى اتباع دعوة الإسلام، ولكن مع هذا لم يقطع الرواة بإسلامه. ومما قاله لقومه في هذا الموقف:

«يا بني تميم: لا تحضروني سفيهاً[14]، فإنه من يسمع يخل[15]، إن السفيه يوهن من فوقه، ويثبط من دونه، لا خير فيمن لا عقل له، كبرت سني ودخلتني ذلة[16]، فإذا

---

(1) سبب السقوط والفشل.
(2) يريد أصل الشر هي اللجاجة. وهي تماحك الخصمين وتماديهما.
(3) الأخذ بالحزم والحكمة أمر صعب لا يتأتى لكل شخص.
(4) يريد بالعجز عدم الاحتيال.
(5) الراعي الصالح لا يستطيع إصلاح الرعية الفاسدة، ولكن الرعية الصالحة تحمل الحاكم على الصلاح. وهذا رأي أكثم، ويؤخذ على إجماله، وربما يريد أنه أسهل.
(6) حاشيته ومخالطوه.
(7) كمن يشرق بالماء. والغصة: وقوف الطعام في الحلق. ومن غص بشيء أزال غصته بالماء. ومن غص بالماء كان أمره عسيراً.
(8) المحالة: الحيلة والمحاولة.
(9) ما يكفيك في سفرك حتى تصل إلى موطنك ـ ينصح بالقناعة.
(10) الإنصات إلى الشر شر، وهو قدر كاف، فلا يجوز المشاركة بالعمل.
(11) حكمة.
(12) من تشدد نفر الناس منه.
(13) تهاون وتبسط.
(14) السفيه: ضعيف العقل والتفكير.
(15) من يسمع كلام السفيه يظنه حقاً.
(16) وهن وضعف.

رأيتم مني حسناً فاقبلوه، وإن رأيتم غير ذلك فقوموني أستقم. إن ابني شافه هذا الرجل وأتاني بخبره، وكتابه يأمر فيه بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق، ويدعو إلى توحيد الله تعالى، وخلع الأوثان، وترك الحلف بالنيران، وقد عرف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه، وأن الرأي ترك ما ينهى عنه، إن أحق الناس بمعونة محمدﷺ ومساعدته على أمره أنتم، فإن يكن الذي يدعو إليه حقاً فهو لكم دون الناس، وإن يكن باطلاً كنتم أحق الناس بالكف عنه وبالستر عليه، وقد كان أسقف نجران يحدث بصفته، وكان سفيان بن مجاشع يحدث به قبل، وسمى ابنه محمداً، فكونوا في أمره أولاً، ولا تكونوا آخراً، ائتوا طائعين قبل أن تأتوا كارهين، إن الذي يدعو إليه محمدﷺ لو لم يكن ديناً كان في أخلاق الناس حسناً، أطيعوني واتبعوا أمري. أسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبداً، وأصبحتم أعز حي في العرب، وأكثرهم عدداً، وأوسعهم داراً. فإني أرى أمراً لا يجتنبه عزيز إلا ذل، ولا يلزمه ذليل إلا عز، إن الأول لم يدع للآخر شيئاً، وهذا أمر له ما بعده، من سبق إليه غمر المعالي واقتدى به التالي، العزيمة حزم والاختلاف عجز».

فقال مالك بن نويرة: قد خرف شيخكم.

فقال أكثم: ويل للشجي من الخلي، والهفي على أمر لم أشهده ولم يسبقني.

وموقف مالك معروف في الإسلام.

وهذه الخطبة مما تطمئن النفس على صحتها.

خطب العصر الإسلامي
أشهر الخطب في التاريخ

خطبة رسول الله ﷺ في حجة الوداع

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهدِ الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أُوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحُثُّكم على طاعة الله، وأستفتح بالذي هو خير.

أمّا بعد: أيها الناس، اسمعوا مني أُبيِّن لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا! أيها الناس: إن دماءَكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوْا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلّغت، اللهم اشهد!.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها؛ وإن ربا الجاهلية موضوع، وإنّ أوّل ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب؛ وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السّدانة والسِّقاية، والعمد قَوَد[1]، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تَحقرون من أعمالكم.

---

(1) القَوَد: القصاص.

أيها الناس: إنما النَّسيء[1] زيادة في الكفر يُضلّ به الذين كفروا يُحلُّونَه عاماً ويحرّمونه عاماً ليُواطِئوا عدَّة ما حرّم الله. وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإنّ عدَّة الشُهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض، منها أربعة حُرُم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان.

ألا هل بلغت، اللهم اشهد!

أيها الناس: إنّ لنسائِكم عليكم حقاً، وإنّ لكم عليهن حقاً: لكم عليهنّ أن لا يُوطِئنَ فرشُكم غيركم، ولا يُدخلْن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة؛ فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تعضُلوهن[2] وتهجروهنّ في المضاجع وتضربوهنّ ضرباً غير مبرِّح؛ فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهنّ وكسوتهن بالمعروف.

وإنما النساء عندكم عَوَانٍ لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله؛ فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهنّ خيراً. ألا هل بلّغت، اللهم اشهد!.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرىءٍ مال أخيه إلا عن طيب نفسه. ألا هل بلغت، اللهم اشهد! فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض؛ فإني تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلُّوا بعده: كتاب الله وأهل بيتي، ألا هل بلّغت اللهم اشهد.

أيها الناس: إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد؛ كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم؛ ليس لعربيّ على عجمي فضل إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم. قال: «فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

أيها الناس: إن الله قسَم لكل وارث نصيبه من الميراث؛ ولا يجوز لوارث وصية في أكثر من الثُلث؛ والولد للفراش وللعاهر الحجر؛ من دُعيَ إلى غير أبيه، أو تولَّى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صَرفاً[3] ولا عدلاً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

---

(1) النسيء: التأخير، والنسيء: تأخير حُرمة شهر المحرّم إلى صفر زمن الجاهلية لكي يستباح القتال فيه.

(2) عضل عليه: ضيّق عليه ومنعه.

(3) الصَّرف: الفضل والزيادة.

أول خطبة دعا بها قومه بمكة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وإنها للجنة أبداً، أو النار أبداً».

فانظر إلى هذه الكلمات الوجيزة كيف رتبت واتصلت حلقاتها حتى انتهت إلى الغرض الذي تريد، وليس بها تكرار ولا حشو. بدأت بأن الرائد ـ أياً كان ـ لا يكذب، وهو نفسه معروف بالصدق والأمانة، فقد اجتمع له ما يزيد صدقه تأكيداً، ثم أكد ذلك ثانياً بأنه لو جاز أن يكذب فإنه لا يجوز له أن يكذب عليهم، لأنهم أهله وعشيرته، ثم زاد ذلك كله ليصدقوه أنه مرسل من الله، وهو مرسل لهم خاصة لأنهم أهله يحمونه ويشرفون برسالته، ورسول إلى الناس جميعاً، فهي رسالة عامة. ثم حدثهم عن البعث بعد الموت والحساب على الأعمال ـ وهذا مفتاح الرسالة الإسلامية ـ فمن آمن بذلك سعى لمعرفة ما ينجيه ويرفع درجته.

خطبة أخرى لهﷺ

«أيها الناس: إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم[1]، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم[2]، إن المسلم بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه. فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت. فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب[3]، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار».

خطبة أخرى

«أيها الناس: كأن الموت على غيرنا قد كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب، وكأنه الذي نشيع من الأموات سفر[4] عمّا قليل إلينا راجعون، نبوئهم

(1) جمع مَعْلَم: ما يستدل به كالعلامة.
(2) تذكروا أنكم ستموتون.
(3) عتاب. مصدر ميمي.
(4) كشرب وركب بمعنى مسافرون.

أجداثهم[1]، ونأكل تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم، ونسينا كل واعظة، وأمنّا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن أنفق مالاً اكتسبه من غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن زكت[2] وحسنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم تستهوه البدعة».

وأول خطبة لهﷺ بالمدينة

«أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن[3] والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك؟ وآتيتك مالاً، وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل. ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإنها تجزى[4]، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف[5]، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمته وبركاته».

خطبتهﷺ في الاستسقاء

جاء أعرابي إلى رسول اللهﷺ في عام جدب فوقف أمامه وقال: أتيناك يا رسول الله، ولم يبق لنا صبي يرتضع ولا شارف[6] تجتر، ثم أنشد:

أتيناك والعذراء يدمي لبانها ... وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل[7]

وألقى بكفيه الفتى لاستكانة ... من الجوع حتى ما يمر ولا يحلي[8]

---

(1) جمع جدث وهو القبر.

(2) طهرت.

(3) بفتح العين وتشديد اللام بمعنى تعلموا واعلموا.

(4) بالبناء للمفعول.

(5) الضعف المثل، ويقولون أيضاً: لك ضعف هذا أي لك مثلاه.

(6) الشارف: الناقة المسنة الهرمة، ويقال شارفة، والجملتان كناية عن الجوع، والأنعام تجتر ما في بطنها، فإذا خلا بطنها فلا اجترار.

(7) اللبان ـ بفتح اللام: الصدر ـ وهو يدمي لأن الصبية امتهنت بالعمل لعدم قدرتها على استئجار خادم. فهي كناية عن الفاقة والفقر. وشغل أم الرضيع عنه من هذا لأنها تعمل ولا تستطيع التفرغ له.

(8) ألقى بكفيه أي استسلم وعجز عجزاً تاماً، وما يمر ولا يحلى، أي لا يستطيع أن يعمل ما يضر أو ينفع.

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الغسل[1]
وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام النبيﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً[2] هنيئاً مريعاً[3] سحًا سجالاً[4] غدقاً[5] طبقاً[6] ديماً[7] دراً[8]، تحيى به الأرض وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع، واجعله سقياً نافعة، عاجلاً غير رائث»[9].

فما رد رسول اللهﷺ يده إلى نحره حتى ألقت السماء أوراقها[10] وجاء الناس يضجون: الغرق الغرق يا رسول الله.. فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا». فانجاب[11] السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل. فضحك رسول اللهﷺ حتى بدت نواجذه[12].

قبس من البلاغة النبوية

بجانب ما ذكرنا من خطبهﷺ القصيرة، نذكر بعضاً من أحاديثه البليغة الموجزة، ففيها بجانب التبرك بكلامه مدد للخطيب، ونماذج بلاغية تحتذى، وبعض هذه الأحاديث يمكن أن يكون وحده موضوع خطبة، وليحاول دارسو الخطابة أن يتخذوا بعضاً منها موضوعاً للتدريب، ومحاولة لإنشاء خطبة محورها بعض هذه الأحاديث.

---

(1) العامي: الذي أتى عليه عام، والحنظل: مر المذاق، والعلهز: طعام من الدم والوبر كانوا يأكلونه في الجاهلية أيام المجاعة وقد أكلته قريش حين دعا عليهم رسول الله أن يجدوا سنين كسني يوسف، والغسل: الرديء.
(2) المغيث: المنقذ، مارىء: السائغ.
(3) خصباً، أي يكسب الأرض خصوبة.
(4) السجل: النصيب، الدلو المملوءة كعظيمة، فالسجال العظيم والتداول الذي ينال كل بلد منه نصيب، كما يقال حرب سجال أي ينال كل من صاحبه مرة ويهزم أخرى.
(5) الغزير: الكثير.
(6) يطبق الأرض ويملؤها.
(7) أي يدوم حتى يروي.
(8) جمع درة بكسر الدال، من در السحاب. ودرته: انصبابه واندفاعه.
(9) غير مبطىء.
(10) صبت مطرها غزيراً.
(11) تكشف وتزحزح.
(12) النواجذ: أقصى الأضراس.

1 ـ قال ﷺ للأنصار:

«إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع».

يريد أنهم كانوا يأتون كثراً عند النداء للحرب، وحين اشتداد المعركة ولكنهم عند توزيع الغنائم كانوا يبدون العفة فلا يحضر إلا القليل. فالمراد بالفزع حالة الحرب، والفزع في الأصل الخوف والرهبة.

2 ـ وقال عليه الصلاة والسلام:

«خير المال سكة مأبورة، وفرس مأمورة».

ومعناه: أفضل ما يملك الشخص نخيل مثمر وفرس نتوج.. فكلاهما يأتي بالخير الكثير على الجهد القليل. ولا يشغل وقت صاحبه، والسكة هي الصف الممتد من النخل.. والمأبور الملقح بطلع الذكر. يقولون أبر النخل وأبره، والمراد النخيل الصالح للأثمار، والفرس المأمورة الكثيرة النتاج، من أمر الله مال الرجل وآمره بمعنى: نماه وزاد فيه.

3 ـ وقريب من هذا الحديث قوله ﷺ:

«نعمت العمة لكم النخلة تغرس في أرض خوارة، وتشرب من عين خرارة».

فالنخل من أوفر الأشجار ثمراً، وهو شجر صحراوي تمتد جذوره في الأرض ويمتص الماء من بعد ويصبر عليه، والأرض الخوارة الرخوة السهلة، والعين الخرارة التي يجري ماؤها أو ينطف، والجملتان للدلالة على أنها لا تكلف جهداً. وسميت النخلة عمة لأنها ذات فضل تستحق به أن تكرم. وجاء فيها أيضاً: «أكرموا عمتكم النخلة».

وفي حديث عبد الله بن عمر:

«إن من الشجر شجرة تشبه المؤمن وأنها لا يسقط منها أبلمة».

والأبلمة الورقة ـ خوصة النخلة. أي أنها كثيرة النفع لا يذهب منها شيء بغير فائدة. ينتفع بجذعها وسعفها وخوصها وعذقها وبلحها. وقال عن النخيل أيضاً: «المطعمات في المحل الراسخات في الوحل».

أي أن بلح النخيل يصلح طعاماً وغذاء، في أوقات الجدب، وقلة الطعام، ومع ذلك تمتد جذوره في التراب لا يكلف صاحبه إصلاح أرض ولا إمداداً بماء.

4 ـ وقال ﷺ:

«نهيتكم عن عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات».

ويروى الحديث أيضاً: «إن الله كره لكم عقوق الأمهات»، والمنع يراد به منع ما يعطى عادة من الصدقة والمساعدة، وكلمة «هات» تعني الطلب، أي كره لكم أن تمنعوا عونكم وتطلبوا عون الآخرين، فهذا مناف للمروءة.

5 ـ ومن ذلك قوله ﷺ:

«لو أن لابن آدم واديين من ذهب لتمنى الثالث، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب».

وهو تصوير لشره الناس على جمع المال، حتى لو كان للشخص واديان مليئان بالذهب ما قنع ولا اكتفى، ولا تزال عينه تتطلع إلى مزيد حتى يموت ويدفن. ويروى أيضاً: «ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب».

6 ـ وقال عليه الصلاة والسلام:

«ما قل وكفى خير مما كثر وألهى».

وهو تأديب وتربية للغرائز البشرية، فالمال القليل الذي يكفي حاجة الإنسان ولا يبطره خير من الكثير الذي ينسيه واجبه نحو الله.

7 ـ وقال عليه الصلاة والسلام:

«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، يتقون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

والمراد بالعلم هنا علم الدين والسنة، يقوم عليه في كل جيل قوم ذوو عدل وفهم وخشية من الله. فيوضحون معانيه الحقيقية، ويبعدون تأويل المتأول. والخلف ـ بفتح اللام ـ الجيل والقوم يأتون بعد سابقهم ـ بسكون اللام ـ يكون للجيل السيء الفاسد ـ كما في قوله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩﴾ [مريم: 59].

وفي كل عصر تجد مشاكل وتظهر تيارات فكرية كثيرة ما يلجىء الناس إلى تأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتتسع لها. كما نجد في وقتنا كثيرين يحلون فائدة

الأموال التي بالبنوك أو صناديق التوفير أو التأمين على الحياة، ويتأولون لذلك عللاً كثيرة، إما غلواً منهم أو جهلاً أو تعمداً لعمل الباطل، ولكن توجد قلة تصمد للدفاع عن الحق.

8 ـ وقال ﷺ:

«لا يوردن مجرب على مصح».

والمجرب صاحب الإبل الجربى، يقولون أجرب فلان أي ظهر الجرب في إبله، والمصح ذو الإبل الصحيحة، أي لا يخلط إبله الجربى بالأخرى فتعديها، ومثله من الحديث أيضاً: «إذا نزل الوباء بأرض فلا تدخلوه، وإذا كان أحدكم به فلا يخرج إلى غيره». وهذا من نصائحه ﷺ في اتقاء العدوى.

9 ـ وقال عليه الصلاة والسلام:

«الناس كالإبل المائة لا تجد فيها راحلة».

ويروى الحديث: «كالإبل مائة لا تجد فيها راحلة»، ويروى: «كإبل مائة لا تجد فيها راحلة». أي أن خيار الناس قليلون. . وأراذلهم هم الكثرة الفاشية. والراحلة من الإبل: البعير النجيب التام الخلق الجلد القوي على الأسفار، و «أل» في الإبل للجنس، فما بعدها صفة ـ أي هم كالإبل التي بهذه الصفة.

10 ـ وقال عليه الصلاة والسلام:

«إياكم والمشارة فإنها تميت الفرة، وتحيي العرة».

والمشارة: المخاصمة والمجادلة، والفرة: المنقبة والصفات الحسنة، والعرة: المثلبة التي تجلب العار، فمخاصمة الشخصين تدعو كل واحد منهما أن يذكر معايب صاحبه، ويغفل ماله من مأثرة، فأحرى بعقلاء الناس ألا يشاروا، ولا يخاصموا، ولما دخل السالب بن صيفي على رسول الله قال: أتعرفني؟. قال ﷺ: «كيف لا أعرف شريكي الذي كان لا يشاريني ولا يماريني؟»[1].

---

(1) كان السائب شريك رسول الله ﷺ في الجاهلية. ولا يشاري ـ أي لا يشاور ويأتي بشر، ولا يماري: لا يخاصم ويجادل.

11 ـ وقال ﷺ:

«دب إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا أقول حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنون حتى تحابوا، ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام وصلوا الأرحام».

والحسد أن يتكثر الشخص نعمة أنعمها الله على غيره، فتود نفسه لو أنها زالت عنه، وهي تسبب الكراهية.. وهذا الخلق يعارض تعاليم الدين ويجتثها من نفس صاحبه، كما تحلق الآلة الشعر، وهو داء قضى على الأمم السابقة، ومعنى دب فيكم: يوشك أن يدب بينكم، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 1].

12 ـ وقال عليه الصلاة والسلام:

«لو تكاشفتم ما تدافنتم».

ويفسر بوجهين، قيل لو كشفتم ما تكشفونه في أنفسكم، وأبديتم سرائركم ما استطعتم بعد ذلك أن تخفوا سراً وتدفنوه. فهو نهي عن إفشاء الأسرار وإذاعتها، وقيل: لو علم بعضكم ما يكنه له الآخر وما تخفي سريرته له، لثقل عليه أن يشيع جنازته، وأن يوسده قبره. ومعنى هذا أننا لا ينبغي أن نكلف الناس شيئاً فوق طاقاتهم، ولا أن نحاول التعرف على ما يكنون لنا، بل نصحبهم على علاتهم.

13 ـ وقال عليه الصلاة والسلام:

«إني لأعطي رجالاً وأدع من هو أحب إلي منهم لا أعطيه شيئاً مخافة أن يكبّوا في النار على وجوههم».

وهذا يبين مدى حرصه ﷺ على هداية أمته ونجاتها من النار، فهو يعطي ضعيف الإيمان يتألف قلبه حتى يتمكن الإيمان من نفسه، ويمنع غيره وهو أحب إليه لأنه وكله إلى إيمانه ودينه، ولو منع ضعيف الإيمان لأبعد عن الإسلام ومات كافراً فيكبه الله في النار. يقال كبه بمعنى ألقاه في النار، فأكب هو: أي هوى وسقط.

14 ـ وقال عليه الصلاة والسلام:

«إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة».

قيل لرسول الله ﷺ: ادع على المشركين. وقيل: قيل له: ادع على بني عامر، لأنهم آذوه، وكانوا مشركين، فذكر هذا الحديث.

هذا تأديب منهﷺ، لا يشتم أعداءه الذين آذوه. ولهذا جاء في الحديث أيضاً: «لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعاناً». وجاء: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء».

15 ـ وقال عليه الصلاة والسلام:

«إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً ينتزعه من الصدور، ولكن ينتزع العلم بنزع العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس علماء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا، وأضلوا».

وهذا حديث ذو أهمية للداعية الإسلامي، لأنه يحتم عليه التثبت من علمه والاستزادة منه.

16 ـ وقال عليه الصلاة والسلام:

«الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن»...

والمراد بالفتك: الاعتداء والخيانة، والإسلام يقيد المسلم أن يفتك بغيره، فهو مانع منه كما يمنع الدابة أن تذهب أو تمرح في مرعى غيرها، ولا «يفتك» برفع الفعل المضارع ـ أي أن شأن المؤمن أنه لا يفعل ذلك.

ومن قولهﷺ عن جواد سابق: «ما هو إلا بحر»، وقيل إنه قال: «إن وجدناه لبحراً»، أي هو يموج في جريه بسهولة كما يندفع ماء البحر، وقد كان رسول اللهﷺ يحب الخيل فجاء فرس له سابقاً، فقال هذا الحديث، وفيه قال عمر بن الخطاب: كذب الحطيئة حيث يقول:

وإن جياد الخيل لا تستفزنا ولا جاعلات العاج فوق المعاصم[1]

وقال بعض العلماء: لم يستفز رسول اللهﷺ سبق فرسه، ولكنه أراد إظهار حب الخيل وتعظيم شأنها.

---

(1) لا يرهبنا المحاربون ولا تستميلنا حسان النساء.

من خطب خليفة رسول ﷺ الله الأول
أبو بكر الصديق

خطب أبو بكر يوم السقيفة: حمِد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس: نحن المهاجرون، أول الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأكثر الناس ولادةً في العرب، وأمسّهم رحماً برسول الله ﷺ؛ أسلمْنا قبلكم، وقدِّمْنا في القرآن عليكم، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: 100]؛ فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدوّ؛ آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنْفَسُوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله.

وخطب أيضاً: حمد الله وأثنى عليه. ثم قال:

أيها الناس: إني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيرِكم، فإن رأيتموني على حقّ فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني؛ أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإذا عصيتُه فلا طاعة لي عليكم. ألا إنّ أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القويُّ حتى آخذ الحق منه! أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وخطب أيضاً فقال:

الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره، وأومن به، وأتوكل عليه وأستهدي الله بالهدى، وأعوذ به من الضلالة والردى، ومن الشك والعمى؛ من يهد الله فهو المهتدي، ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو حيّ لا يموت، يعزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله

بالهدى ودين الحق لِيُظهره على الدين كله ولو كره المشركون ـ إلى الناس كافة، رحمةً لهم وحجة عليهم، والناس حينئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية، دينُهم بِدعة، ودعوتَهم فرية[1]، فأعز الله الدين بمحمدﷺ، وألّف بين قلوبكم أيها المؤمنون، ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103]؛ فأطيعوا الله ورسوله، فإنه قال عز وجل: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 80].

أما بعد أيها الناس: إني أوصيكم بتقوى الله العظيم، في كل أمر وعلى كل حال، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم؛ فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكَذِب يفْجُر، ومن يفْجُر يهلِك، وإياكم والفخَر؛ وما فَخْرُ مَن خُلِقَ من تراب وإلى التراب يعود، هو اليومَ حيٌّ وغداً مَيِّتٌ! فاعملوا وعُدُّوا أنفسكم في الموتى. وما أشْكلَ عليكم فرُدُّوا عِلْمه إلى الله وقدّموا لأنفسكم خيراً تجدوه مُحْضَراً، فإنه قال عز وجلَّ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30] فاتقوا الله عباد الله وراقبوه، واعتبروا بمن مضى قبلكم، واعلموا أنه لا بدّ من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم، صغيرها وكبيرها، إلا ما غفر الله إنه غفور رحيم، فأنفسكم أنفسَكم والمستعانُ الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56] اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك، أفضل ما صليت على أحدٍ من خلقك؛ وزكّنا بالصلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حَوضه، اللهم أعِنَّا على طاعتك وانصرنا على عدوك.

---

(1) الفرية: الكذبة.

من خطب الخليفة الثاني
عمر بن الخطاب رضي الله عنه

خطب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبيَّ بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأتِ مُعاذَ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني؛ فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً: إني بادىء بأزواج رسول اللهﷺ فمعطيهن، ثم المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، أنا وأصحابي ثم بالأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم، ثم من أسرَعَ إلى الهجرة أسرع إليه العطاء، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء، فلا يلومنّ رجل إلا مُناخ راحلته. إني قد بقيتُ فيكم بعد صاحبي، فابتُليتُ بكم وابتليتُم بي، وإني لن يحضُرُني من أموركم شيءٌ فأكله إلى غير أهل الجزاء والأمانة، فلئن أحسنوا لأُحْسنَنَّ إليهم، ولئن أساؤوا لأُنكِّلَنَّ[1] بهم.

وخطب عند توليه الخلافة:

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا أيها الناس: إني داع فأمِّنوا: اللهم إني غليظٌ فَلَيِّنِّي لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقني الغِلْظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة[2] والنفاق، من غير ظلم مني لهم، ولا اعتداءٍ عليهم؛ اللهم إني شحيح فسخِّني في ثوابت المعروف، قصداً من غير سَرَف ولا تبذير، ولا رياء ولا سمعة، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة؛ اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إني

(1) نكَّل به: عاقبه بما يردعه ويردعه غيره من إتيان مثل صنيعه.

(2) الدعارة: الفسق والخبث والفجور.

كثير الغفلة والنسيان، فألهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين؛ اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك، فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعوْنك وتوفيقك؛ اللهم ثبِّتني باليقين والبرِّ والتقوى، وذكر المقام بين يديك والحياء منك، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني، والمحاسبة لنفسي، وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات؛ اللهم ارزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت؛ إنك على كل شيء قدير.

وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عُرف أنه فرغ من خطبته: اللهم لا تدعْني في غمرة[1]، ولا تأخذني على غِرَّة، ولا تجعلني من الغافلين.

(1) الغمرة: الشدّة.

من خطب أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله عنه

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أول خطبة خطبها بالمدينة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال:

أيها الناس: كتابَ الله وسُنَّة نبيكمﷺ، أما بعد: فلا يَدَّعيَنَّ مُدَّعٍ إلا على نفسه، شُغِل من الجنةُ والنار أمامَه. ساع نَجا، وطالبٌ يرجو، ومقصِّر في النار: [ثلاثة؛ واثنان]: ملَك طار بجناحيه، ونبي أخذ الله بيده، لا سادس. هلك من ادعى، ورَدِي من اقتحم. اليمين والشمال مَضلة، والوسطى والجادَّة: منهج عليه أم الكتاب والسنة وآثار النبوة؛ إن الله داوى هذه الأمة بدوائين: السوط والسيف، فلا هوادة عند الإمام فيهما، استتروا ببيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم؛ فالموت من ورائكم. من أبدى صفحته[1] للحق هلك. قد كانت أمور لم تكونوا فيها محمودين. أما إني لو أشاء أن أقول لقلت: عفا الله عما سلف. سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب، همته بطنه، ويله! لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له! انظروا، فإن أنكرتم فأنكروا، وإن عرفتم فآروُوا حق وباطل، ولكلّ أهل؛ ولئن أمِرَ الباطل لقديماً فعل، ولئن قال الحق لربما ولعل؛ ولقلما أدبر شيء فأقبل؛ ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء، وإني لأخشى أن تكونوا في فترة، وما علينا إلا الاجتهاد.

ومن خطبه أيضاً:

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أوصِيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم العمل، وترك الأمل؛ فإنه من فَرَّط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله، أين التَّعِب بالليل والنهار، المقتحم

(1) يقال: أبدى صفحته: باح بأسراره، أو جهر بالذنب والخطيئة.

لِلجَج البحار ومفاوز القفار، يسير من وراء الجبال وعالج[1] الرمال، يصل الغدوة بالرواح، والمساء بالصباح، في طلب محقرات الأرباح؛ هجمت عليه منيتُه، فعظمَت بنفسه رزيتُه؛ فصار ما جمع بُوراً[2]؛ وما اكتسب غروراً، ووافى القيامة محسوراً[3].

أيها اللاهي الغارّ بنفسه، كأني بك وقد أتاك رسول ربك، لا يقرع لك باباً، ولا يهاب لك حجاباً، ولا يقبل منك بديلاً، ولا يأخذ منك كفيلاً، ولا يرجم لك صغيراً، ولا يوقر فيك كبيراً، حتى يوديَك إلى قعر مظلمة، أرجاؤها موحشة، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية! أين من سعى واجتهد؛ وجمع وعدَّد، وبنى وشيَّد؛ وزخرف ونجَّد، وبالقليل لم يقنع، وبالكثير لم يمتع؟ أين من قاد الجنود، ونشر البنود[4]؟ أضحوا رفاتاً! تحت الثرى أمواتاً، وأنتم بكأسهم شاربون، ولسبيلهم سالكون.

عباد الله فاتقوا الله وراقبوه، واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال، وتشقَّق السماء بالغمام، وتطاير الكتب عن الأيمان والشمائل؛ فأي رجل يومئذ تراك؟ أقائل: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: 19]! أم: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: 25]! نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنته أن يقينا سخطه؛ إنّ أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ومن خطبه رضي الله عنه:

أمّا بعد؛ فإنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطِّلاع، وإنّ المضمار اليوم والسباق غداً، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائِه أجل؛ فمَن أخلص في أيام أمله قبل حضور أجله، فقد خسر عمله وضره أمله؛ ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة، ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها؛ ألا وإنه من لا ينفعْه الحقّ يضرُّه الباطل، ومن لم يستقم به الهدى يَجُرُّ به الضلال إلى الرَّدى؛ ألا وإنكم قد أُمرتم بالظعن[5]، ودُللتم على الزاد، وإن أخْوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل.

وخطبته الزهراء:

الحمد لله الذي هو أول كل شيء ووليُّه، وكل شيء خاشع له، كل شيء قائم به،

---

(1) تعلّج الرمل: تجمّع.

(2) البوار: الهلاك، والكساد.

(3) المحسور: الآسف والحزين.

(4) البنود: الأعلام الكبيرة.

(5) الظعن: المسير والارتحال.

وكل شيءٍ ضارعٌ[1] إليه، وكل شيء مستكين له؛ خشعت له الأصوات، وكلَّت دونه الصفات، وضلت دونه الأوهام، وحارت دونه الأحلام، وانحسرت دونه الأبصار لا يقضي في الأمور غيره، ولا يتم شيءٌ منها دونه، سبحانه ما أجل شأنه، وأعظم سلطانه! تُسبح له السمٰوات العلى، ومن في الأرض السفلى، له التسبيح والعظمة، والملك والقدرة، والحولُ والقوة، يقضي بعلم ويعفو بحلم؛ قوةُ كل ضعيف، ومفزع[2] كل ملهوف وعِزُّ كلِّ ذليل، ووليُّ كل نِعمة، وصاحب كل حسنة، وكاشفُ كل كربة المُطَّلع على كل خفِيَّة، المحصِي كلَّ سريرة، يعلم ما تُكِنُّ الصدور، وما تُرْخَى عليه الستور؛ الرحيم بخلقه، الرؤوف بعباده؛ من تكلم منهم سمِع كلامه، ومن سكت منهم عَلم ما في نفسه، ومن عاش منهم فعليه رِزْقُه، ومن مات منهم فإليه مصيره؛ أحاط بكل شيءٍ علمُه وأحصى كل شيء حفظُه، اللهم لك الحمد عدد ما تُحيي وتُميت، وعدد أنفاس خلقك ولفظِهم ولحظِ أبصارهم، وعدد ما تجري به الريح وتحمله السحاب، ويختلف به الليل والنهار، ويسير به الشمس والقمر والنجوم ـ حمداً لا ينقضي عدده، ولا يفنى أمده: اللهم أنت قبل كل شيء، وإليك مصير كل شيء، وتكون بعد هلاك كل شيء وتبقى ويفنى كلُّ شيء، وأنت وارثُ كلَّ شيء، أحاط علمُك بكلّ شيء، وليس يُعجِزُك شيء، ولا يتوارى عنك شيء، ولا يقدَّر أحد قدرتَك، ولا يشكُرك أحد حقَّ شكرك، ولا تهتدي العقول لصفتك، ولا تبلغ الأوهام حدّك؛ حارت الأبصار دون النظر إليك فلم ترك عينٌ فتخبر عنك كيف أنت وكيف كنت. لا نعلم اللهم كيف عظمتُك، غير أنا نعلم أنك حيٌّ قيوم، لا تأخذك سِنَةٌ[3] ولا نوم، لم ينته إليك نظر، ولم يُدْرِكْكَ بصر، ولا يقدّر قدرتَك ملَكٌ ولا بشَر؛ أدركت الأبصار، وكتمت الآجال، وأحصيت الأعمال، وأخذت بالنواصي والأقدام، لم تخلق الخلق لحاجة ولا لوحشة، ملأت كلَّ شيء عظمة، فلا يُردُّ ما أردت، ولا يعطَى ما منعت، ولا ينقص سلطانك من عصاك ولا يزيد في ملكك من أطاعك؛ كلُّ سِرّ عندك علمُه، وكل غيب عندك شاهده؛ فلم يستتر عنك شيء، ولم يشغلك شيء عن شيء، وقدرتُك على ما تقضي كقدرتِك على ما قضيت، وقدرتك على القوي كقدرتك على الضعيف، وقدرتك على الأحياء كقدرتك على الأموات؛ فإليك المنتهى وأنت الموعد، لا منجى إلا إليك؛ بيدك ناصيةُ كل دابة، وبإذْنك تسقط كلُّ ورقة؛ لا يعزب عنك مثقال ذرة؛ أنت الحيُّ القيوم؛ سبحانك! ما أعظم ما يُرى من خلقك! وما أعظم ما يُرى من ملكوتك! وما أقلهما فيما غاب عنا

---

(1) ضرع إليه وله: ذلّ وخضع.

(2) المَفزع: من يُلجأ إليه عند نزول الخَطب.

(3) السِّنة: أول النوم، والسِّنة: الغفلة.

منه! وما أسبغ[1] نعمتَك في الدنيا وأحقرها في نعيم الآخرة! وما أشدّ عقوبتك في الدنيا وما أيسرها في عقوبة الآخرة! وما الذي نرى من خلقك، ونعتبر من قدرتك، ونصف من سلطانك فيما يغيب عنا منه مما قصُرَت أبصارُنا عنه وكانت عقولنا دونه، وحالت الغيوب بيننا وبينه، فمن قرع سنه وأعمل فكره كيف أقمت عرشك، وكيف ذرأت خلقك، وكيف علقت في الهواء سمٰواتك، وكيف مددت أرضك ـ يرجعْ طرْفُهُ حاسراً، وعقلُه مبهوراً، وسمعه والهاً، وفكرُه متحيراً؛ فكيف يُطلب علم ما قبل ذلك من شأنك إذ أنت وحدك في الغيوب التي لم يكن فيها غيرُك، ولم يكن لها سواك؟ لا أحد شهدك حين فطَرْتَ الخلق، ولا أحد حضرك حن ذرأْتَ[2] النفوس، فكيف لا يعظم شأنُك عند من عرفك، وهو يرى من خلقك ما ترتاع به عقولهم، ويملأ قلوبهم، من رعدٍ تفزَعُ له القلوب، وبرق يخطف الأبصار، وملائكةٍ خلقتَهم وأسكنتَهم سمٰواتك، وليست فيهم فترة، ولا عندهم غفلة، ولا بهم معصية؛ هم أعلمُ خلقك بك، وأخوفهم لك، وأقومُهم بطاعتك، ليس يغشاهم نومُ العيون، ولا سهوُ العقول؛ لم يسكنوا الأصلاب، ولم تضمَّهم الأرحام؛ أنشأتهم إنشاءً، وأسكنتهم سمٰواتك، وأكرمتَهم بجوارك، وائتمنتهم على وحيك، وجنبتَهم الآفات، ووقيتهم السيئات، وطهرتَهم من الذنوب؛ فلولا تقويتك لم يقْوُوا، ولولا تثبيتك لم يثبتوا، ولولا رهبتك لم يطيعوا، ولولاك لم يكونوا؛ أما إنهم على مكانتهم منك، ومنزلتهم عندك، وطول طاعتهم إياك ـ لو يعانون ما يخفى عليهم لاحتقروا أعمالهم، ولعلموا أنهم لم يعبدوك حقَّ عبادتك؛ فسبحانك خالقاً ومعبوداً ومحموداً، بحسن بلائك عند خلقك! أنت خلقت ما دبرته مطعماً ومشرباً، ثم أرسلت داعياً إلينا، فلا الداعِيَ أجَبنا، ولا فيما رغَّبتَنا فيه رغِبْنا، ولا إلى ما شوّقتنا إليه اشتقنا؛ أقبلنا كلنا على جيفة نأكل منها ولا نشبع وقد زاد بعضُنا على بعض حرصاً لما يرى بعضُنا من بعض، فافتضحنا بأكلها واصطلحنا على حبها، فأعمت أبصار صالحينا وفقهائنا، فهم ينظرون بأعين غير صحيحة، ويسمعون بآذان غير سميعة، فحيثما زالت زالوا معها، وحيثما مالت أقبلوا إليها، وقد عاينوا المأخوذين على الغِرّة كيف فجأتْهُمُ الأمور، ونزل بهم المحذور، وجاءهم من فراق الأحبة ما كانوا يتوقعون، وقدِموا من الآخرة ما كانوا يوعدون: فارقوا الدنيا وصاروا إلى القبور، وعَرفوا ما كانوا فيه من الغرور؛ فاجتمعت عليهم حسرتان: حسرةُ الفَوت وحسرةُ الموت؛ فاغبرّت لها وجوههم وتغيرت بها ألوانهم، وعرقت بها جباهُهم، وشَخصَتْ أبصارُهم، وبردت أطرافهم، وحيل بينهم وبين المنطق، وإن أحدهم لبيْنَ أهله، ينظر ببصره، ويسمعُ بأذنه؛ ثم زاد الموت في جده حتى خالط بصره، فذهبت من الدنيا

(1) أسبغ الله النعمة: أكملها وأتمّها.

(2) ذرأ: خلق.

معرفته، وهلكت عند ذلك حجته، وعاين هول أمرٍ كان مغطى عليه فأحدّ لذلك بصرَه؛ ثم زاد الموتُ في جده حتى بلغت نفسه الحلقوم، ثم خرج من جسده فصار جسداً ملقًى لا يجيب داعياً، ولا يسمع باكياً؛ فنزعوا ثيابه وخاتمه، ثم وضَّأوه وضوء الصلاة، ثم غسلوه وكفنوه إدراجاً[1] في أكفانه وحنطوه، ثم حملوه إلى قبره، فدلوه في حفرته، وتركوه مخلى بمفظعات من الأمور، وتحت مسألة منكر ونكير، مع ظلمة وضيق ووحشة قبر، فذاك مثواه حتى يبلى جسدُه ويصير تراباً؛ حتى إذا بلغ الأمر إلى مقداره، وألحق آخر الخلق بأوله، وجاءه أمر من خالقه، أراد به تجديد خلقه ـ أمر بصوت من سمٰواته فمارت[2] السموات موراً، وفزع من فيها، وبقي ملائكتها على أرجائها، ثم وصل الأمر إلى الأرض، والخلقُ رفاتٌ لا يشعرون فأرج أرضهُم وأرجَفَها[3] وزلزَلها، وقلع جبالَها ونسفَها وسيَّرَها، ودكَّ بعضُها بعضاً من هيبته وجلاله، وأخرج من فيها فجدّدهُمْ بعد بلائهم، وجمعهم بعد تفرُّقهم، يريد أن يُحصِيَهم ويميزهم، فريقاً في ثوابه، وفريقاً في عقابه، فخلد الأمر لأبده، دائماً خيره وشره، ثم لم ينس الطاعة من المطيعين، ولا المعصية من العاصين، فأراد عز وجل أن يجازي هؤلاء، وينتقم من هؤلاء، فأثاب أهل الطاعة بجواره، وحلولِ داره، وعيش رغد، وخلود أبد، ومجاورةٍ للرب، وموافقة محمدﷺ، حيث لا ظعن ولا تغيُّر؛ وحيث لا تصيبهم الأحزان، ولا تعترضهم الأخطار؛ ولا تُشْخِصُهم الأسفار؛ وأما أهل المعصية فخلدهم في النار، وأوثق منهم الأقدام وغلَّ منهم الأيدي إلى الأعناق؛ في لهب قد اشتد حره، ونارٍ مطبقة على أهلها لا يدخل عليهم بها روح، همُّهم شديد، وعذابُهم يزيد، ولا مدة للدار تنقضي، ولا أجل للقوم ينتهي.

اللهم إني أسألك بأن لك الفضل والرحمة بيدك، فأنت وليهما لا يليهما أحد غيرك، وأسألك باسمك المخزون المكنون، الذي قام به عرشُك وكرسيُّك وسمٰواتُك وأرضُك، وبه ابتدعتَ خلقَك ـ الصلاةَ على محمد، والنجاة من النار برحمتك، آمين؛ إنك وليٌّ كريم.

وخطب أيضاً فقال: أيها الناس احفظوا عني خمساً فلو شدَدْتُم إليها المطايا حتى تُنضوها[4] لم تظفروا بمثلها؛ ألاَ لا يرجُوَنَّ أحدُكم إلا ربَّه، ولا يخافنّ إلا ذنبَه ولا يستحْيي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ألا

(1) كفنوه إدراجاً: أدرج الشيء في الشيء: أدخله في أثنائه.
(2) مار الشيء: تحرك وتدافع.
(3) أرجف الأرض: زلزلها.
(4) أنضى الدابة: هزلها وأتعبها.

وإن الخامسة الصبر، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد؛ من لا صبر له لا إيمان له، ومن لا رأس له لا جسد له؛ ولا خير في قراءة إلا بتدبُّر ولا في عبادة إلا بتفكُّر، ولا في حلم إلا بعلم؛ ألا أنبئكم بالعالِم كلِّ العالم؟ من لم يزين لعباد الله معاصيَ الله، ولم يُؤمّنهم مكرَه، ولم يُؤيسهم من روحه. لا تُنزلوا المطيعين الجنة ولا المذنبين الموحدين النار حتى يقضيَ الله فيهم بأمره؛ ولا تأمنوا على خير هذه الأمة عذابَ الله؛ فإنه يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99]، ولا تقنطوا شر هذه الأمة من رحمة الله، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

خطب معاوية بن أبي سفيان

قال القحذمي: لما قدم معاويةُ المدينة عام الجماعة تلقّاه رجال قريش فقالوا: الحمد لله الذي أعز نصرك، وأعلى كعبك[1]. قال: فوالله ما ردّ عليهم شيئاً حتى صعد المنبر؛ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد فإني والله ما ولِيتُها بمحبة علمتُها منكم ولا مسرَّة بولايتي، ولكني جالدتكم[2] بسيفي هذا مجالدة، ولقد رُضْتُ لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرتْ من ذلك نفاراً شديداً؛ وأردتها مثل ثَنِيَّات عثمان، فأبت عليّ؛ فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلةٌ حسنة، ومُشاربة جميلة؛ فإن لم تجدوني خيرَكم فإني خيرٌ لكم ولاية؛ والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفي به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك له دَبْرَ أذني وتحت قدمي؛ وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا منّي بعضه، فإن أتاكم مني خيرٌ فاقبلوه، فإن السيل إذا زاد عَنّى[3]، وإذا قلَّ أغنى؛ وإياكم والفتنة، فإنها تفسد المعيشة، وتكدّر النعمة. ثم نزل.

ومن خطب معاوية بن أبي سفيان أيضاً

حمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على النبيﷺ، ثم قال:

أما بعد، أيها الناس، إنا قدِمنا عليكم، وإنما قدمنا على صديق مستبشر، أو على عدو مستتر، وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: 58]. ولست واسعاً كلَّ الناس؛ فإن كانت محمدةٌ فلا بدّ مِن

(1) أعلى كعبك: شرفك ومجدك.

(2) جالده بالسيف: ضاربه به.

(3) عنّى: أتعب.

مَذَمّة، فَلَوْناً هَوْناً إذا ذكر غُفِر؛ وإياكم والتي إن أُخفيت أوبقت[1]، وإن ذُكرت أوثقت. ثم نزل.

وخطبة أيضاً لمعاوية

صعد مِنبر المدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا أهل المدينة، إني لست أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق؛ يعيبون الشيء وهم فيه، كل امرىءٍ منهم شيعةُ نفسه، فاقبلونا بما فينا فإن ما وراءنا شرٌّ لكم، وإن معروف زماننا هذا منكَرُ زمان قد مضى، ومنكَر زماننا معروف زمان لم يأت، ولو قد أتى فالرَّتق خير من الفتق[2]، وفي كلّ بلاغ، ولا مقام على الرزية.

وخطبة لمعاوية أيضاً

قال العتبي: خطب معاوية الجمعة في يوم صائف شديد الحر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسولهﷺ، ثم قال:

إن الله عز وجل خلقكم فلم يَنـكم، ووعظكم فلم يهمِلكم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: 102]. قوموا إلى صلاتكم.

ومما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية

قال ابن دأب: لمّا قدم عبيد الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لاهياً عنه أنكره، فجعل يتصدّى له بخلوة ليسبر من رأيه ما كَرِهَ أن يُشرك به عمله، فاستأذن عليه بعد انصداع[3] الطُّلاب وإشغال الخاصة وافتراق العامة، وهو يوم معاوية الذي كان يخلو فيه بنفسه، ففطن معاوية لما أراد، فبعث إلى ابنه يزيد، وإلى مروان بن الحكم، وإلى سعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحكم، وعمرو بن العاص، فلما أخذوا مجالسهم أذِن له، فسلم ووقف واجماً يتصفح وجوه القوم، ثم قال:

صريح العقوق[4] مُكاتمةُ الأذنيْن، لا خير في اختصاص وإن وفَرَ، أحمد الله إليكم على الآلاء، وأستعينه على اللأواء[5]، وأستهديه من عمى مُجهد، وأستعينه على عدوّ مرصِد، وأشهد أن لا إله إلا الله المنقذ بالأمين الصادق من شقاء هاوٍ، ومن غواية

---

(1) أوبق: أفسد.

(2) الرَّتق: الالتئام، الفتق: الخلاف بين الجماعة، وتصدع الكلمة.

(3) الانصداع: الانشقاق.

(4) العقوق: العصيان.

(5) اللأواء: الصعاب.

غاوٍ، وصلوات الله على الزكي، نبيّ الرحمة، ونذير الأمّة، وقائد الهدى؛ أمّا بعد يا أمير المؤمنين، فقد عسف بنا ظنّ فَزَّع، وفَزَع صدّع، حتى طمع السحيق، ويئس الرفيق، ودب الوشاة بموت زياد، فكلهم متحفِّز للعداوة، وقد قلَّص الإزْرة، وشمّر عن عِطافه، ليقول: مضى زياد بما استُلحق به، وولّى على الدنية من مُستلحِقه. فليت أمير المؤمنين سَلِم في دَعته، وأسلم زياداً في ضَعته، فكان ترب عامّته، وواحد رعيَّته، فلا تشخص إليه عين ناظر ولا أصبع مشير، ولا تذلَقَ[1] عليه ألسنٌ كَلَمتْه حياً ونبشته ميتاً، فإن تكن يا أمير المؤمنين حابيت زياداً بولاء رفات، ودعوة أموات، فقد حاباك زياد بجدّ هصور[2] وعزم جسور، حتى لانت شكائمُ[3] الشَّرِس، وذلَّت صعبة الأشوس[4]، وبذل لك يا أمير المؤمنين يمينه ويساره، تأخذ بهما المنيع، وتقهر بهما البزيع[5]، حتى مضى والله يَغفر له؛ فإن يكن زياد أخذ بحقّ فأنزلنا منازل الأقربين، فإنّ لنا بعده ما كان له، بدالَّة الرحم، وقرابة الحميم؛ فما لنا يا أمير المؤمنين نمشي الضَّرَّاء وندبّ الخفاء، ولنا من خيرك أكمله، وعليك من حوبنا[6] أثقله، وقد شهد القوم، وما ساءني قربهم ليُقرّوا حقاً؛ ويردّوا باطلاً؛ فإنّ للحقّ مناراً واضحاً، وسبيلاً قصْدا؛ فقل يا أمير المؤمنين بأي أمريْك شئت، فما نأرِز[7] إلى غير جُحرنا، ولا نستكثر بغير حقنا، وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فنظر معاوية في وجوه القوم كالمتعجب، فتصفَّحهم بلحْظه رجلاً رجلاً وهو متبسم، ثم اتجه تلقاءه وعقد حبوته[8] وحسر عن يده وجعل يومىء بها نحوه، ثم قال معاوية:

الحمد لله على ما نحن فيه؛ فكل خير منه، وأشهد أن لا إله إلا الله؛ فكل شيء خاضع له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، دلَّ على نفسه بما بان عن عجز الخلق أن يأتوا بمثله، فهو خاتم النبيين، ومصدّق المرسلين، وحجة رب العالمين، صلوات الله عليه وسلامه وبركاته، أمّا بعد، فرب خيرٍ مستور، وشر مذكور، وما هو إلا السهم الأخْيب لمن طار به، والحظ المرغِب لمن فاز به، فبهما التفاضل، وفيهما التغابن، وقد صفَقتْ

---

(1) ذلق: يقال: لسان ذلق: بليغ.
(2) الهصور: الأسد.
(3) الشكائم جمع الشكيمة: قوة القلب.
(4) الأشوس: المتكبر.
(5) البزيع: السيد الشريف.
(6) الحوب: الإثم.
(7) نأرز: نلجأ.
(8) يقال: حل حبوته: أي قام، وعقد حبوته: أي قعد.

يداي في أبيك صفقة ذي الخَلة من ضوارع الفُصْلان، عامَلَ اصطناعي له بالكفر لما أوليته، فما رميتُ به إلا انتصل، ولا انتضيته[1] إلا غلَّقَ جفنه، وزلَّت شفرته، ولا قلتُ إلا عانَد، ولا قمتُ إلا قعد، حتى اخترمه الموت، وقد أوقع بخَتْرِه[2]، ودل على حقده، وقد كنت رأيت في أبيك رأياً حضَرَه الخطل، والتبس به الزلل، فأخذ مني بحظ الغفلة، وما أُبرِّىء نفسي، إنْ النفس لأمّارة بالسوء؛ فما برحت هَناة أبيك تحطب في جبل القطيعة حتى انتكث[3] المبرم. وانحل عقد الوداد. فيا لها توبةً تُؤتَنَف[4] من حَوبة أورثت ندماً أسمعَ بها الهاتف وشاعت للشامت؛ فليهنأ الواصم ما به احتقر؛ وأراك تحمد من أبيك جِداً وجُسوراً: هما أوفيا به على شرف التقحم وغمط[5] النعمة؛ فدعْهما فقد أذكرتَنا منه ما زهَّدَنا فيك من بعده، وبهما مشيتَ الضرّاء ودببت الخفاء؛ فاذهب إليك، فأنت نَجْل الدَّغَل[6]، وعِترة النَّغَل[7]؛ والأخرَ شرّ.

فقال يزيد: يا أمير المؤمنين، إنّ للشاهد غيرَ حكم الغائب، وقد حضرك زياد، وله مواطن معدودة بخير، لا يفسدها التظنّي، ولا تغيّرها التهم، وأهلوه أهلوك التحقوا بك، وتوسطوا شأنك، فسافرتْ به الرُّكبان، وسمعت به أهل البلدان، حتى اعتقده الجاهل، وشك فيه العالم، فلا يتحجَّر يا أمير المؤمنين ما قد اتسع، وكثرت فيه الشهادات، وأعانك عليه قوم آخرون.

فانحرف معاوية إلى من معه فقال: هذا، وقد نَفِس[8] عليه ببيعته، وطعن في إمرته، يعلم ذلك كما أعلمه؛ يا للرجال من آل أبي سفيان! لقد حكموا وبذَّهم يزيدُ وحده.

ثم نظر إلى عبيد الله فقال: يا ابن أخي، إني لأعْرَف بك من أبيك، وكأني بك في غمرة لا يخطوها السابح؛ فالزم ابنَ عمك، فإنّ لما قال حقاً.

فخرجوا، ولزم عبيد الله يزيد يرِد مجلسه ويطأ عقِبَه أياماً، حتى رَمَى به معاوية إلى البصرة والياً عليها. ثم لم تزل توكسه[9] أفعاله حتى قتله الله بالخازر.

---

(1) انتضى السيف: أخرجه من غمده.
(2) الختر: الغدر.
(3) انتكث: انتقض.
(4) تؤتنف: يقال: هو يتأنّف الإخوان: يطلبهم ممن لم يعاشروا أحداً قبل.
(5) غمِط الحق: أنكره وهو يعلمه.
(6) دغل فيه: دخل دخول المرِيب، ودغل الشيء: أدخل فيه ما يخالفه ويفسده.
(7) نغلَ المولود: فسد نسبه.
(8) نفِس: حسد.
(9) وكِس في تجارته: خسِر.

خطبة ليزيد

الحمد لله أحمده وأستعينه، وأُؤمن به وأتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يُضْلل فلا هاديَ له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه لوحيه، واختاره لرسالته، بكتاب فصّله وفضَّله، وأعزّه وأكْرمه، ونصره وحفظه؛ ضرب فيه الأمثال، وحثّل فيه الحلال وحرَّم فيه الحرام وشرع فيه الدين إعذاراً وإنذاراً؛ لئلا يكون للناس على الله حُجَّة بعد الرسُل، ويكون بلاغاً لقوم عابدين. أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه وإليه يصيّر معادها، وانقطاع مدتها، وتصرم[1] دارها. ثم إني أحذّركم الدنيا، فإنها حلوة خضِرة، حُفَّت بالشهوات، وراقت بالقليل، وأينعت بالفاني، وتحببت بالعاجل، لا يدوم نعيمُها، ولا تؤمن فجعتُها، أكَّالةٌ غوّالةٌ[2] غرّارةٌ. لا تُبْقي على حال، ولا يَبْقى لها حال. لن تعدو الدنيا ـ إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها، والرضا بها ـ أن تكون كما قال الله عز وجل: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: 45]. نسأل الله ربَّنا وإلٰهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فزَع يومَئذٍ آمنين.

إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله، يقول الله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: 204]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: 128، 129].

---

(1) انصرم: ذهب وانقضى.

(2) عوّالة: كثيرة البكاء والصياح.

خطب بني مروان

خطبة عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته: اللهم إن ذنوبي قد عظمت وجلَّت أن تحصى، وهي صغيرة في جنب عفوك فاعف عني.

وخطب بمكة شرفها الله تعالى فقال في خطبته:

إني والله ما أنا بالخليفة المستضعَف ولا بالخليفة المداهن[1] ولا بالخليفة المأفون[2].

قال أبو إسحاق النظام: أما والله لولا نسبك من هذا المستضعف، وسببك من هذا المداهِن؛ لكنتَ منها أبعد من العَيّوق[3]. والله ما أخذْتَها بوراثة، ولا سابقة ولا قرابة، ولا بدعوى شورى، ولا بوصية.

خطبة الوليد بن عبد الملك

لما مات عبد الملك بن مروان، رجع الوليد من دفن عبد الملك ولم يدخل منزله حتى دخل المسجد، ونادى في الناس: الصلاة جامعة! فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، لا مؤخِّر لِمَا قدّم الله، ولا مقدِّم لِمَا أخّر الله، وقد كان من قضاء الله وسابقِ علمه وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه من الموت، موتُ وَليِّ هذه الأمة، ونحن نرجو أن يصير إلى منازل الأبرار، للذي كان عليه من الشدة على المريب، واللين على أهل الفضل والدين، مع ما أقام من مَنار الإسلام وأعلامه، وحجِّ

(1) المداهن: المخادع.

(2) المأفون: الناقص العقل.

(3) العيوق: نجم من النجوم.

هذا البيت، وغزو هذه الثغور، وشنّ الغارات على أعداء الله؛ فلم يكن فيها عاجزاً، ولا وانياً، ولا مفرطاً؛ فعليكم أيها الناس بالطاعة ولزوم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الفذ[1]، وهو من الجماعة أبعد، واعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه. ثم نزل.

وخطب سليمان بن عبد الملك

فقال: الحمد لله، ألا إنَّ الدنيا دار غرور، ومنزل باطل، تُضْحِك باكياً، وتُبكي ضاحكاً، وتُخيف آمناً، وتُؤمِّن خائفاً، وتُفقر مثرياً، وتثري مقتراً. ميّالة غرارة، لعّابة بأهلها. عباد الله، فاتخذوا كتاب الله إماماً، وارتضُوا به حَكَماً. واجعلوه لكم قائداً، فإنه ناسخ لما كان قبله، ولم ينسخه كتاب [بعده] واعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان كما يجلو ضوءُ الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا عَسْعَس[2].

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه

قال العتبي: أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله: أيها الناس أصلحوا سرائركم تَصْلُح لكم علانيتُكم، وأصلحوا آخرتكم تَصلح دنياكم، وإن امرأً ليس بينه وبين آدم أبٌ حيّ لَمُعْرقٌ في الموت.

وخطبة له رحمه الله

وإن لكل سفر زاداً لا محالة. فتزودوا [لسفركم] من دنياكم لآخرتكم التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه، فرهِبوا ورغِبوا، ولا يطولن عليكم الأمد، فتقسوَ قلوبكم وتنقادوا لعدوّكم. فإنه ما بُسط أمل مَن لا يدري لعله لا يصبح بعد إمسائه أو يمسي بعد إصباحه. وربما كانت بين ذلك خطرات المنايا، وإنما يطمئن إلى الدنيا من أمِنَ عواقبها، فإنّ من يُداوِي من الدنيا كَلْماً أصابته جراحة من ناحية أخرى، فكيف يطمئن إليها؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أنهَى عنه نفسي؛ فتخسر صفقتي، وتظهر عَيْلتي[3]، وتبدو مسكنتي، في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق.

ثم بكى وبكى الناس معه.

---

(1) الفذ: الفرد.

(2) عسعس الليل: أقبل بظلامه.

(3) العَيْلة: الافتقار.

خطبة لعمر بن عبد العزيز أيضاً

شبيب بن شيبة عن أبي عبد الملك قال: كنت من حرس الخلفاء قبل عمر، فكنا نقوم لهم ونبدؤهم بالسلام؛ فخرج علينا عمر رضي الله عنه في يوم عيد وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة، فمثلنا بين يديه وسلمنا عليه، فقال: مَهْ! أنتم جماعة وأنا واحد؛ السلام عليَّ والردّ عليكم، وسلِّم، فرددنا، وقرّبت له دابته، فأعرض عنها، ومشى ومشينا حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبيﷺ، ثم قال: وددت أنّ أغنياء الناس اجتمعوا فردّوا على فقرائهم، حتى نستوي نحن بهم، وأكون أنا أولهم، ثم قال: ما لي وللدنيا؟ أم ما لي ولها؟ وتكلم فأزقَّ[1] حتى بكى الناسُ جميعاً يميناً وشمالاً، ثم قطع كلامه ونزل؛ فدنا منه رجاء بن حيوة فقال له: يا أمير المؤمنين، كلمت الناس بما أرقَّ قلوبَهم وأبكاهم، ثم قطعته أحوجَ ما كانوا إليه؛ فقال: يا رجاء، إني أكره المباهاة.

خطبة عبد الله بن الأهتم بين يدي عمر بن عبد العزيز

ودخل عبد الله بن الأهتم على عمر بن عبد العزيز مع العامة، فلم يفجأ إلا وهو قائم بين يديه يتكلم؛ فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أما بعد، فإن الله خلق الخلق غنيًّا عن طاعتهم، آمِناً مِن معصيتهم؛ والناس يومئذ في المنازل والرأي مختلفون، والعرب بشَرٍّ تلك المنازل؛ أهل الوبر وأهل المدر، تُحْتازُ[2] دونهم طيباتُ الدنيا ورفاهة عيشها؛ ميِّتهم في النار وحيّهم أعمى، مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه؛ فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمتَه، بعثَ إليهم رسولاً منهم عزيزاً عليه ما عَنِتُوا حَريصاً عليهم، بالمؤمنين رؤوف رحيم؛ فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه في جسمه، ولقبوه في اسمه، ومعه كتاب من الله ناطق، لا يرحل إلا بأمره، ولا ينزل إلا بإذنه، واضطروه إلى بطن غار؛ فلما أُمر بالعزيمة أسفر[3] لأمر الله لونُه، فأفلج[4] الله حجتَه، وأعلى كلمتَه، وأظهر دعوتَه. وفارق الدنيا تقياً.

ثم قام من بعده أبو بكر رضي الله عنه، فسلك سُنَّتَه وأخذ سبيله؛ وارتدَّت العرب فلم يقبل منهم إلا الذي كان رسولُ اللهﷺ يقبله؛ فانتضى السيوف من أغمادها، وأوقد

---

(1) أزَق الشيءِ: ضاق.

(2) احتاز: ضمّ وامتلك.

(3) أسفر: وضح وانكشف.

(4) فَلَج بحجته: أحسن الإدلاء بها فغلب خصمه.

النيران في شُعلها، ثم ركب بأهلِ الحق أهل الباطل، فلم يبرح يفصل أوصالهم ويسقي الأرض دماءهم، حتى أدخلهم في الباب الذي خرجوا منه، وقرّرهم بالأمر الذي نفروا منه؛ وقد كان أصاب من مال الله بكراً يرتوي عليه، وحبشية ترضع ولداً له؛ فرأى ذلك غُصَّة في حلقه عند موته، وثقلاً على كاهله، فأدّاه إلى الخليفة من بعده وبرىء إليهم منه، وفارق الدنيا تقِياً نقياً على منهاج صاحبه.

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فمصّر الأمصار، وخلط الشدة باللين، وحسر عن ذراعيه، وشمر عن ساقيه، وأعد للأمور أقرانها وللحرب آلتها، فلما أصابه قِنُّ المغيرة بن شعبة، أمر ابن العباس أن يسأل الناس هل يُثبتون قاتله؟ فلما قيل له قِنّ المغيرة استهل بحمد الله أن لا يكون أصابه من له حق في الفيء، فيستحل دمه بما استحل من حقه؛ وقد كان أصاب من مال الله بضعة وثمانين ألفاً فكسر بها رِباعه، وكره بها كفالة أهله وولده، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده، وفارق الدنيا تقياً نقياً على منهاج صاحبه.

ثم إنَّا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها، وألقمتك ثديها، فلما وليتَها ألقيتها وأحببتَ لقاء الله وما عنده؛ فالحمد لله الذي جلا بك حوبتَنا[1]، وكشف بك كُرْبتنا. امض ولا تلتفت، فإنه لا يُغني عن الحق شيءٌ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين وللمؤمنات.

ولما قال: ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج. سكت الناس كلهم غير هشام، فإنه قال: كذبت!

وخطبة أيضاً لعمر بن عبد العزيز

قال أبو الحسن: خطب عمر بن عبد العزيز بخُناصِرَة خطبة لم يخطب بعدها حتى مات، رحمه الله، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إنكم لم تُخْلقوا عبثاً، ولم تُتْرَكوا سدى؛ وإن لكم معاداً يحكم الله بينكم فيه، فخاب وخَسِرَ من خرج من رحمة الله التي وسِعَتْ كل شيء، وحُرِم جنةً عرضُها السمٰوات والأرض؛ واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف اليوم وباع قليلاً بكثير، وفانياً بباق؛ ألا تَرَوْن أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلُفها من بعدكم الباقون [كذلك] حتى تُردوا إلى خير الوارثين؛ ثم إنكم في كل يوم تُشَيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله، قد قضى نحبَه، وبلغ أجله، ثم تغيِّبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير مُوَسَّد ولا

(1) الحوب: الإثم.

ممهَّد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب وواجه الحساب، [مرتهناً بعمله]، غنياً عما ترك، فقيراً إلى ما قدَّم؛ وآيم الله إني لا أقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنوب] أكثر مما عندي، فأستغفر الله لي ولكم، وما تَبلغنا [عن أحد منكم] حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سدَدناها، ولا أحد منكم إلا ووددت أن يده مع يدي ولُحمتي[1] الذين يلونني، حتى يستوي عيشنا وعيشكم. وآيم الله إني لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة[2] لكان اللسان به ناطقاً ذلولاً، عالماً بأسبابه؛ ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، دل فيها على طاعته، ونهى عن معصيته.

ثم بكى، فتلقى دموعَ عينيه بردائه، ونزل؛ فلم يُرَ بعدها على تلك الأعواد حتى قبضه الله تعالى.

---

(1) اللُّحمة: القرابة.

(2) الغضارة: غضارة العيش: السعة والنعمة.

خطبة يزيد بن الوليد

حين قَتل الوليدَ بن يزيد

بقِيّ بن مخلد قال: حدثني خليفة بن خياط، قال: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدّثني إبراهيم بن إسحق أن يزيد بن الوليد لما قتَلَ الوليد بن يزيد قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، إني ما خرجت أشراً ولا بطراً، ولا حرصاً على الدنيا، ولا رغبة في الملك؛ وما بي إطراء نفسي ولا تزكية عملي، وإني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي، ولكني خرجت غضباً لله ودينه، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيه، حين دَرست معالم الهدى، وطَفِيءَ نور أهل التقوى، وظهر الجبّار العنيد المستحل الحرمة، والراكب البدعة والمغيِّر السنة؛ فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تقتلع، على كثير من ذنوبكم وقسوة من قلوبكم، وأشفقت أن يدعو كثيراً من الناس إلى ما هو عليه، فيجيبه من أجابه منكم؛ فاستخرت الله في أمري، وسألته أن لا يكلني إلى نفسي؛ وهو ابن عمي في نسبي؛ وكفئي في حسبي؛ فأراح الله منه العباد، وطهر منه البلاد، ولايةً من الله وعَوناً بلا حول منا ولا قوة، ولكن بحول الله وقوته وولايته وعونه.

أيها الناس، إن لكم عليّ إن وليتُ أموركم أن لا أضع لبِنة على لَبِنة ولا حجراً على حجر، ولا أنقل مالاً من بلد إلى بلد حتى أسد فقره [وخَصاصة[1] أهله]. وأقيم مصالحه، بما يحتاجون إليه ويقوون به؛ فإن فضَل شيء ردَدْتُه إلى البلد الذي يليه وهو من أحوج البلدان إليه، حتى تستقيمَ المعيشةُ بين المسلمين وتكونوا فيه سواء، ولا أُجَمِّركم[2] في بعوثكم فتفتنوا وتفتن أهاليكم؛ فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم به، وإن مِلْتُ فلا بيعة لي عليكم؛ وإن رأيتم أحداً أقوى عليها مني فأردتم بيعته، فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

(1) الخَصاصة: الفقر والحاجة وسوء الحال.

(2) جمّر الشيء: جمّعه، وجمّر الأمير الجيوش: جمعهم في الثغور وحبسهم عن العود إلى أهليهم.

خطب بني العباس

العتبي قال: قيل لمسلمة بن هلال العبدي: خطبنَا جعفر بن سليمان الهاشمي خطبة لم يُسمَعْ أحسنُ منها، وما دَرَيْنا أوَجْهُه كان أحسن أم كلامه! قال: أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون، وبلسان النُّبوّة ينطقون.

خطبة أبي العباس السفاح بالشام:

خطب أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي، لما قُتل مروان بن محمد قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: 28، 29] نَكص بكم يا أهل الشام آلُ حرب وآلُ مروان، يتسكعون[1] بكم الظلم، ويتهوَّرون بكم مداحِض[2] الزلق، يطئون بكم حَرَمَ الله وحرمَ رسوله، ماذا يقوم زعماؤكم غداً؟ يقولون ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ [الأعراف: 38] إذاً يقول الله عز وجل: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 38] أما أمير المؤمنين فقد ائتنف[3] بكم التوبة، واغتفر لكم الزَّلة، وبسط لكم الإقامة، وعاد بفضله على نقصكم وبحلمه على جهلكم، فلتفرخ[4] روعكم ولتطمئن به داركم، وليُقطع مصارع أوائلكم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا.

---

(1) تسكع: مشى لا يدري أين يذهب.

(2) الدحض: الزّلق، والزلق: الموضع الذي لا تثبت عليه قدم لملاسته.

(3) يريد قبل توبتكم.

(4) أفرخ: يقال: أفرخ الله روع فلان: أذهب عنه الفزع.

خطب المنصور

خطب أبو جعفر المنصور، واسمه عبد الله بن محمد بن علي، لما قَتل الأمويين، فقال:

أحز لسان رأسه، انتبه امرؤ لحظه، نظر امرؤ في يومه لغده؛ فمشى القصد وقال الفصل، وجانب الهُجر[1].

ثم أخذ بقائم سيفه، فقال: أيها الناس، إن بكم داء هذا دواؤه، وأنا زعيم لكم بشفائه؛ فليعتبر عبدٌ قبل أن يُعتبر به، فإنما بعد الوعيد الإيقاع وإنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله.

طبة المنصور حين خروجه إلى الشام

شِنْشِنَةٌ أعْرِفُها من أخْزَمِ من يَلْقَ أبطالَ الرجالِ يُكْلَمِ

[من الرجز]

مهلاً مهلاً زوايا الإرجاف[2] وكهوف النفاق عن الخوض فيما كُفيتم، والتخطي إلى ما حُذِّرتم، قبل أن تتلف نفوس، ويقلَّ عدد، ويدول عز؛ وما أنتم وذاك؟ ألم تجدوا ما وعد ربُّكم من إيراث المستضعفين من مشارق الأرض ومغاربها حقاً؟ والجَحْدَ الجَحد، ولكن خِب[3] كامن، وحسد مُكْمِد[4]، فبُعداً للقوم الظالمين.

---

(1) الهُجر: الهذيان والقبيح من القول.

(2) الإرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب.

(3) الخبّ: الخدّاع.

(4) المكمود: الكاتم حزنه.

وخطب أيضاً:

قال يعقوب بن السكيت: خطب أبو جعفر المنصور يوم جمعة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس اتقوا الله...

فقام إليه رجل فقال: أُذَكِّرُك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين.

قال أبو جعفر: سمعاً سمعاً لمن فهم عن الله وذكَّر به، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه فتأخذني العزة بالإثم؛ لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين. وأما أنت ـ والتفت إلى الرجل فقال: ـ واللَّهِ ما اللَّهَ أردتَ بها، ولكن ليقال: قام فقال فعوقب فصبر! وأهْوِنْ بها! [ويْلكَ] لو كانت العقوبة [فاهْتبِلْها][1] إذ غَفَرْتُ]؛ وأنا أنذركم أيها الناس أختَها؛ فإن الموعظة علينا نزلت، وفينا انبثت.

ثم رجع إلى موضعه من الخطبة.

وخطبة أيضاً للمنصور بمكة

وخطب بمكة فقال: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده؛ وحارسُه على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيه بإذنه؛ فقد جعلني الله عليه قفلاً، إن شاء أن يفتحني فتحَني لإعطائكم وقسم أرزاقكم؛ فإن شاء أن يُقفلني عليها أقفلني؛ فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3] أن يوفقني للرشاد وللصواب، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وخطبة لسليمان بن علي

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ * إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: 105، 106] قضاءٌ مبرم، وقول فصل، ما هو بالهزل؛ الحمد لله الذي صدَق عبده، وأنجز وعده، وبُعداً للقوم الظالمين، الذين اتخذوا الكعبة غرضاً، والفيء إرثاً، والدين هزواً، وجعلوا القرآن عِضِين، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون، فكائن ترى من بئر مُعطَّلة وقصْرٍ مَشيد؛ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: 182] أُمهِلوا والله حتى نبذوا الكتاب،

(1) اهتبل الفرصة: اغتنمها.

واضطهدوا العِترة، ونبذوا السُّنة، [وعَندوا] واعتدوا، واستكبروا، وخاب كل جبار عنيد ثم أخذهم، فهل تحِسُّ منهم من أحدٍ أو تَسْمَعُ لهم ركزاً؟[1].

خطبة عبد الملك بن صالح بن علي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: 24] يا أهل الشام، إن الله وصف إخوانكم في الدين وأشباهَكم في الأجسام، فحذرهم نبيه محمداً ﷺ فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: 4]. فقاتلكم الله أنّى تُصرفون! جثث مائلة، وقلوب طائرة، تشبُّون الفتن وتولون الدُّبر إلا عن حرم الله فإنه دريئتكم[2]، وحرم رسوله فإنه مغزاكم؛ أما وحرمة النبوة والخلافة، لتنفِرن خفافاً وثقالاً، أو لأُوسِعنَّكم إرغاماً ونكالاً.

وخطب صالح بن علي

يا أعضاد النفاق وعبُد الضلالة، أغرّكم لين إبساسي[3] وطولُ إيناسي؛ حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفُلول[4] حدّ، وفتور جدّ، وخور قناة! كذبت الظنون، إنها العِترة بعضها من بعض، فإذا قد استوليتم العافية فعندي فصال[5] وفطام وسيف يقدّ الهام، وإني أقول:

أغَـرّكـمُ أنّـي بـأكـرَم شـيـمـةٍ ... رفـيـقٌ وأنّـي بـالـفـواحِـشِ أخـرَقُ
ومـثـلـي إذا لـم يُـجـزَ أحْـسَـنَ سعـيـهِ ... تـكـلـمُ نُـعـمَـاه بِـفِـيـهـا فـتـنْـطِـق
لـعـمْـرِي! لـقـد فـاحـشْـتـني فـغَـلـبـتـني ... هـنـيـئـاً مـريـئـاً أنْـتَ بـالـفُـحْـشِ أَرْفـق

[من الطويل]

وخطب داود بن علي بالمدينة

فقال: أيها الناس، حتّام يهتف بكم صريخُكم؟ أما آن لراقدكم أن يهب من نومه؟ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: 14]! أغركم الإمهالُ حتى

---

(1) الرِّكز: الصوت الخفي.
(2) الدريئة: ما يستتر به الصائد لِيَخْتِلَ الصيد.
(3) الإبساس: الإسراع في السير.
(4) السيف الفلول: الذي ثُلِم وكسر حده.
(5) الفصال: الفطام.

حسبتموه الإهمال؟ هيهات منكم وكيف بكم والسوط في كفي والسيف مُشهر:

حتى يخبيد قبيلة فقبيلةً ... ويعَضَّ كلُّ مُثَقَّفٍ بالهام

ويُقِمْنَ رباتِ الخدُورِ حواسِراً ... يَمسحْنَ عُرْضَ ذَوائِب الأيْتام

[من الكامل]

خطبة داود بن علي بمكة

وخطب داود بن علي بمكة: شكراً شكراً! والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً ولا لنبتني فيكم قصراً، أظَنّ عدوّ الله أن لن يُظفَر به، إذا مُد له في عنانه[1] حتى عثر في فضل زمامه! فالآن عاد الأمر في نصابه، وطلَعت الشمس من مَشْرقها، والآن تولّى القوس باريها، وعادت النبل إلى النَّزعة، ورجع الأمر إلى مُسْتقرّه، في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة، فاتقوا الله وأسمعوا وأطِيعوا، ولا تجعلوا النِّعم التي أنعم الله عليكم سبباً إلى أن تُتيح هلكتكم، وتزيل النِّعم عنكم.

خطبة المهدي

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه، ورضيَ به من خلقه، أحمدُه على آلائه، وأُمجِّده لبلائه، وأستعينه وأؤمن به، وأتوكل عليه توكُّل راضٍ بقضائه، وصابر لبلائه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسولُه إلى خلقه، وأمينه على وحيه؛ أرسله بعد انقطاع الرجاء، وطموس العلم، واقتراب من الساعة، إلى أمّة جاهلية، مختلفة أمية، أهل عداوة وتضاغن، وفُرقة وتَباين، قد استهوتهم شياطينهم، وغلب عليهم قرَناؤهم، فاستشعروا الرَّدى، وسلكوا العمَى، يبشِّر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها، ويُنذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 42].

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإن الاقتصار عليها سلامة، والترك لها ندامة؛ وأحُثُّكم على إجلال عظمته، وتوقير كبريائه وقدرته، والانتهاء إلى ما يقرّب من رحمته ويُنْجي من سخطه، ويُنال به ما لديه من كريم الثواب؛ وجزيل المآب؛ فاجتنبوا ما خوّفكم الله من شديد العقاب، وأليم العذاب، ووعيد الحساب؛ يوم توقَفون بين يدي الجبار، وتعرَضون فيه على النار ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾

(1) العِنان: سَيْرُ اللجام الذي تمسك به الدابة.

[هـــود: 105]؛ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عـبـس: 34 ـ 37]؛ ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 123]؛ ﴿يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الرعد: 33]؛ فإن الدنيا دارَ غُرور، وبلاءٍ وشُرور، واضمحلالٍ وزوال، وتقلّبٍ وٱنتقال؛ قد أفنت من كان قبلكم، وهي عائدة عليكم وعلى من بعدكم؛ من ركن إليها صَرَعَتْه، ومن وثِق بها خانته؛ ومن أملَها كذَبته، ومن رجاها خذلته؛ عزُّها ذُل، وغِناها فقر؛ والسعيدُ من تركها، والشقيُّ فيها من آثرها، والمغبون فيها مَن باع حظَّهُ من دارِ آخرته بها؛ فالله الله عبادَ الله والتوبةُ مقبولة، والرحمة مبسوطة؛ وبادِروا بالأعمال الزكية في هذه الأيام الخالية قبل أن يؤخذ بالكَظم[1]، وتندموا فلا تُقالون بالندم، في يوم حسرةٍ وتأسُّف وكآبة وتلهُّف؛ يومٌ ليس كالأيام، وموقف ضنك المُقام، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: 204]. أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم! بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [سورة التكاثر].

أُوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، وأرضى لكم طاعة الله، وأستغفر الله لي ولكم.

خطبة هارون الرشيد

الحمد لله؛ نَحمَده على نِعمه، ونستعينه على طاعته، ونستنصره على أعدائه، ونؤمن به حقاً، ونتوكل عليه مفوّضين إليه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ بعثه الله على فَترةٍ من الرسل، ودروس من العلم، وإدبارٍ من الدنيا، وإقبال من الآخرة؛ بشيراً بالنعيم المقيم؛ ونذيراً بين يديْ عذابٍ أليم، فبلّغ الرسالة، ونَصح الأمّة، وجاهد في الله، فأدّى عن الله وعدَه ووعيدَه حتى أتاه اليقين؛ فعلى النبيِّ من الله صلاةٌ ورحمة وسلام.

أُوصيكم عباد الله بتقوى الله؛ فإن في التقوى تكفير السيئات، وتضعيف الحسنات، وفوزاً بالجنة، ونجاة من النار؛ وأحذركم يوماً تَشخص فيه الأبصار، وتُبلى فيه الأسرار، يومَ البعث ويومَ التغابن، ويوم التلاقي ويوم التنادي، يوم لا يُستعتَب من

(1) الكَظم: مخرج النفس، يقال: أخذ بكَظَمِه: أي كَرَبه وغمّه.

سيئة ولا يُزداد من حسنة؛ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: 18 ـ 19] ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

عباد الله؛ إنكم لم تخلقوا عبَثاً، ولن تُتركوا سُدًى؛ حصِّنوا إيمانكم بالأمانة، ودينكم بالورع، وصلاتكم بالزكاة؛ فقد جاء في الخبر أن النبيﷺ قال: «لا إيمانَ لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، ولا صلاة لمن لا زكاة له»[1] إنكم سَفْرٌ مجتازون وأنتم عن قريبٍ تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء؛ فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة، وإلى الرحمة بالتقوى، وإلى الهدى بالأمانة؛ فإن الله تعالى ذِكره أوجب رحمتَه للمتقين، ومغفرتَه للتائبين، وهُداه للمنيبين؛ قال الله عز وجل وقوله الحق ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف: 156]. وقال: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: 82]. وإياكم والأمانيّ، فقد غرّت وأوردتْ وأوبقت كثيراً حتى أكذبتْهم مناياهم، فتناوَشوا[2] التوبةَ من مكان بعيد، وحيلَ بينهم وبين ما يشتهون؛ فأخبرَكم ربُّكم عن المَثلات[3] فيهم، وصَرّف الآيات، وضرب الأمثال، فرغّب بالوعد وقدّم إليكم الوعيد، وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالي جِيلاً فجيلاً، وعهدتهم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم، ومن بين أظهركم، لا تدفعون عنهم، ولا تَحُولون دونهم، فزالت عنهم الدنيا، وانقطعت بهم الأسباب، فأسلمتْهم إلى أعمالهم عند الموقف والحساب والعقاب ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: 31].

إنَّ أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله؛ يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: 204]. أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم، بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص]. آمرُكم بما أمركم الله به، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، وأستغفر الله لي ولكم.

---

(1) «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له». أخرجه ابن حنبل (3/ 135، 154، 210، 251)، والهيثمي في موارد الظمآن (47). والمنذري في الترغيب (241). والمتقي في الكنز (553).

(2) تناوش القوم في القتال: تناول بعضهم بعضاً بالرماح ولم يتدانوا كل التداني.

(3) المثلات جمع المَثُلَة: العقوبة والتنكيل.

خطبة للحجاج بن يوسف الثقفي:

خطب الحجاج فقال: اللهم أرني الغيَّ غيًّا فأجتنبَه، وأرني الهدى هُدًى فأتبعَه، ولا تَكلّني إلى نفسي فأضِلّ ضلالاً بعيداً! والله ما أُحب أن ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه، ولمَا بقي منها أشبهُ بما مضى من الماء بالماء.

وخطبة للحجاج أيضاً:

قال الهيثم بن عدي: خرج الحجاج بن يوسف يوماً من القصر بالكوفة، فسمع تكبيراً في السوق، فراعه[1] ذلك، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا أهل العراق، يا أهلَ الشقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق، وبني اللكيعة، وعبيد العصا، وأولاد الإماء، والفَقع بالقرقر[2]؛ إني سمعت تكبيراً لا يُراد به الله وإنما يراد به الشيطان؛ وإنما مثلي ومثلكم ما قال ابن براقة الهمداني:

وكنتُ إذا قَوْمٌ غزَوْنِي غزوْتُهمْ ... فهل أنا في ذا يا لَهمْدانَ ظالِمُ؟
متَى تجمَعِ القلبَ الذَّكيَّ وصارِماً ... وأنفاً حمِيًّا تَجْتنِبْكَ المظالِمُ!

[من الطويل]

أما والله لا تقرع عصاً بعصا إلا جعلتها كأمس الدابر.

خطبة الحجاج بعد دير الجماجم:

خطب أهلَ العراق فقال:

يا أهل العراق، إن الشيطان استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف: ثم أفضى إلى المِخاخ والصمائخ، ثم ارتفع فعشش؛ ثم باض وفرخ، فحشاكم شقاقاً ونفاقاً، أشعركم خلافاً اتخذتموه دليلاً تتبعونه، وقائداً تطيعونه، ومؤامراً تستشيرونه، فكيف تنفعكم تجربة، أو تعظكم وقعة، أو يحجزكم إسلام، أو يردكم إيمان؟ ألستم أصحابي بالأهواز حيث رمتم المكر؛ وسعيتم بالغدر، واستجمعتم للفكر، وظننتم أن الله تعالى يخذل دينه وخلافته، وأنا أرميكم بطرْفي وأنتم تسلون لِواذاً[3]؛ وتنهزمون سراعاً، ثم يوم الزاوية: وما يوم الزاوية؟ بها كان فشلُكم

---

(1) راعه: أفزعه.

(2) الفقع بالقرقر: الفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة. والقرقر من الأودية: الأملس الذي لا شجر فيه ولا حجارة. يضرب مثلاً للرجل الذليل.

(3) لواذاً: مستترين.

وتنازُعُكم وتخاذُلكم وبراءةُ الله منكم ونكوصُ وليِّكم عنكم؛ إذ ولَّيتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها، النوازع إلى أعطانها[1]؛ لا يسأل المرءُ منكم عن أخيه، ولا يلوي الشيخ على بنيه، حتى عضكم السلاح، وقصمتكم الرماح، ثم يوم دير الجماجم: وما دير الجماجم؟ بها كانت المعارك والملاحم، بضربٍ يُزيل الهام عن مقيله[2]، ويذهل الخليل عن خليله.

يا أهل العراق والكفرات بعد الفجرات؛ والغدرات بعد الختَرات[3]، والنَّزوة بعد النّزوات، إن بعثْتكم إلى ثغوركم غُللتم وخُنتم، وإن أمنتم أرجفتم، وإن خفتم نافقتم؛ لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة!

يا أهل العراق: هل استخفَّكم ناكث، أو استغواكم غاوٍ، أو استفزكم عاص أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع ـ إلا وثقتموه وآويتموه وعزَّزتموه ونصرتموه ورضيتموه.

يا أهل العراق؛ هل شغَب شاغب، أو نعَب ناعب[4]، أو نعق ناعق[5]، أو زفر زافر، إلا كنتم أتباعه وأنصاره. يا أهل العراق، ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يا أهل الشام، إنما أنا لكم كالظليم[6] الذابِّ عن فراخه؛ ينفي عنها المدر[7]، ويباعد عنها الحجر ويكنُّها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرُسها من الذئاب؛ يا أهل الشام، أنتم الجُنَّةُ والرداء، وأنتم العدة والحذاء.

وخطبة للحجاج

قال مالك بن دينار: غدوت للجمعة، فجلست قريباً من المنبر، فصعد الحجاج ثم قال:

---

(1) الأعطان: مبرك الإبل، ومريض الغنم عند الماء.
(2) المقيل: موضع القيلولة.
(3) الختَرات: أشد الغدر.
(4) الناعب: الصائح والمصوت.
(5) الناعق: الرافع صوته.
(6) الظليم: ذكر النعام.
(7) المَدَر: الطين اللزج المتماسك.

امرؤٌ حاسَبَ نفسه؛ امرؤٌ راقب ربه؛ امرؤٌ زوَّرَ عمله، امرؤ فكر فيما يقرؤه غداً في صحيفته ويراه في ميزانه، امرؤ كان عند همه آمراً، وعند هواه زاجراً؛ امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله، فإن قاده إلى حق تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كفَّه. إننا والله ما خُلقنا للفناء، وإنما خُلقنا للبقاء، وإنما ننتقل من دار إلى دار.

خطبة الحجاج بالبصرة

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] فهذه لله وفيها مثوبة، ثم قال: ﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ [التغابن: 16]. فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيبِ الله عبدِ الملك بن مروان، والله لو أمرتُ الناسَ أن يأخذوا في باب واحد وأخَذُوا في باب غيره، لكانت دماؤهم لي حلالاً من الله، ولو قتل ربيعة ومضر لكان لي حلالاً. عذيري من هذه الحمراء، يَرمِي أحدُهم بالحجر إلى السماء ويقول: يكون إلى أن يقع هذا خيرٌ. والله لأجعلَنَّهم كأمس الدابر؛ عذيري من عبْدِ هُذيل، إنه زعم أنه آمن عند الله، يقرأ القرآنَ كأنه رَجَزُ[1] الأعراب؛ والله لو أدركتُه لقتلتُه.

خطبة للحجاج بالبصرة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله كفانا مؤونَة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة فليتَه كفانا مؤونةَ الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا. ما لي أرى علماءَكم يذهبون، وجُهَّالكم لا يتعلمون، وشِرارَكم لا يتوبون؟ ما لي أراكم تَحرِصون على ما كُفيتم، وتُضَيِّعُون ما به أُمِرْتم؟ إن العلمَ يوشِك أن يُرفع، ورفْعُه ذهابُ العلماء، ألا وإني أعلم بشراركم من البيطار بالفرس: الذين لا يقرأون القرآنَ إلا هُجْراً[2]، ولا يأتون الصلاة إلا دُبُراً[3]؛ ألا وإن الدنيا عَرض حاضر يأكل منها البَرُّ والفاجر؛ ألا وإن الآخرة أجلٌ مستأخر يحكم فيه مَلِكٌ قادر؛ ألا فاعلموا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم ملاقوه ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النجم: 31]. ألا وإن الخيرَ كلَّه بحذافيره في الجنة؛ ألا وإن الشرَّ كلَّه بحذافيره في النار؛ ألا وإنّ من يعمل مثقالَ ذرّة خيراً يَرَه، ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شراً يره وأستغفر الله لي ولكم.

---

(1) الرجز: بحر من بحور الشعر.

(2) الهُجر: الهذيان والقبيح من القول.

(3) يقال: أتى الصلاة دِباراً: بعدما يفوت الوقت.

وخطبة للحجاج

خطب الحجاجُ أهل العراق فقال: يا أهل العراق إني لم أجد لكم دواءً أدوَى لدائكم من هذه المغازي والبعوث، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة القفَل، فإنها تعقب راحة وإني لا أريد أن أرَى الفرحَ عندكم ولا الرَّاحةَ بكم؛ وما أُراكم إلا كارهين لمقالتي، أنا والله لِرؤيتكم أكرَهُ، ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حَمَّلْتُ نفسي مُقاساتكم والصبرَ على النظر إليكم؛ والله أسأل حُسْنَ العون عليكم! ثم نزل.

خطبة الحجاج حين أراد الحج

يا أهل العراق، إني أردتُ الحج، وقد استخلفتُ عليكم ٱبنِي محمداً، وما كنتم له بأهل؛ وأوصيتُه فيكم بخلاف ما أوصى به رسولُ اللهﷺ في الأنصار؛ فإنه أوصى أن يُقبل من محسنهم ويُتجاوز عن مسيئهم، وأنا أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم! ألا وإنكم قائلون بعدي مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا خوفي، تقولون: لا أحسن الله له الصحابة! وإني أعجِّل لكم الجواب: فلا أحسن الله عليكم الخلافة! ثم نزل.

خطبة للحجاج

خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها في اثني عشر راكباً على النجائب، حتى دخل الكوفة [فجأةً] حين انتشر النهار، وقد كان بشر بن مروان بعث المهلّب إلى الحرورية، فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله، ثم صعد المنبر وهو ملثَّم بعمامة خزّ، فقال: عليّ بالناس، فحسبوه وأصحابه خوارج، فهمُّوا به، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد، قام، ثم كشف عن وجهه، ثم قال:

أنا ٱبنُ جَلا[1] وطلاّعُ الثَّنايا ... متى أضعِ العِمامةَ تعرفوني
صَليبُ العودِ من سَلَفي رياح ... كنصْل السيفِ وضَّاح الجبِين
وماذا يبتغي الشُّعراءُ مني ... وقد جاوزتُ حدّ الأربعين
أخو خمسينَ مجتمِعٌ أشُدِّي ... ونَجَّذَني[2] مُداوَرة الشُّؤون
وإني لا يعودُ إليَّ قِرْني ... غَداةَ العَبْء إلا في قَرين

[من الوافر]

---

(1) ابن جلا: السيد الشريف لا يخفى مكانه.

(2) نجّذه: عضه بالنواجب. ويقال: نجذته التجارب: أحكمته.

أما والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجْزيه بمثله؛ وإني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لَصاحبُها؛ وإني لأنظر الدِّماء بين العمائم واللِّحى تترقرق:

قد شمَّرتْ عن ساقها فشمِّر

ثم قال:

هذا أوان الشدّ فاشتدّي زِيَمْ[1] قد لفَّها الليل بسوّاق حُطَمْ[2]
ليس بِراعِي إبلٍ ولا غنمْ ولا بجزّارٍ على ظهْرِ وضَمْ[3]

[من الرجز]

ثم قال:

قد لَفها الليل بَعصْلبيٍّ[4] أروعَ خرّاج من الدويّ
مهاجرٍ ليس بأعرابيّ

[من السريع]

ثم قال:

قد شمَّرت عن ساقها فشُدُّوا ما علَّتي وأنا شيخٌ إد
والقوسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ[5] مثْل ذراعِ البِكر أو أشدُّ

[من الرجز]

إني والله يا أهل العراق، ومعدنَ الشقاق والنفاق، ومساوىء الأخلاق، لا يُغمز جانبي كتَغْماز التِّين، ولا يُقعقَع[6] لي بالشنآن؛ ولقد فُررتُ عن ذكاء، وفتِّشتُ عن تجربة، وأُجريت إلى الغاية القصوى؛ وإنّ أمير المؤمنين نثرَ كنانته بين يديه ثم عجم[7] عيدانَها، فوجدني أمرَّها عوداً وأشدّها مكسراً، فوجهني إليكم، ورماكم بي، فإنكم قد طالما أوضعتم في الفتن وسننتم سنن الغيّ؛ وأيم الله لألحُوَنَّكم لحْوَ[8] العصا،

(1) الزيمة جمع زِيَم: القطعة من اللحم ونحوه.
(2) الحُطَم: الراعي العنوف العنيف.
(3) الوضم: ما يضع عليه الجزار اللحم من خشب ونحوه.
(4) العصْلَب والعُصلبي: القوي العظيم من الرجال.
(5) العُرد: الصلب الشديد.
(6) يقال: فلان لا يقعقع له بالشِّنان: لا يُخدع ولا يُروَّع.
(7) عَجَم الشيء: امتحنه واختبره.
(8) لحى الشجرة والعصا: قشرها.

ولأقرعنكم قرع المرْوة[1]، ولأعصبنكم عصب السَّلمة[2]، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل؛ أما والله لا أَعِد إلا وفيت؛ ولا أخلُق إلا فَريت؛ فإياي وهذه الشفعاء، والزرافات والجماعات، وقالاً وقيلاً. وما يقولون؛ وفيم أنتم وذاك؟ والله لتستقيمُنّ على طريق الحق، أو لأَدَعنّ لكلِّ رجل منكم شُغلاً في جسده! من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلّب سفكت دمه، وانتهبت ماله وهدمت منزله.

فشمَّر الناس بالخروج إلى المهلّب؛ فلما رأى المهلّب ذلك قال: لقد وليَ العراقَ خير ذكر.

خطبة الحجاج لما مات عبد الملك

قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى نعَى نبيَّكمﷺ إلى نفسه فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: 30]؛ وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: 144] فمات رسول اللهﷺ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون، منهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان الشهيد المظلوم، ثم تبعهم معاوية؛ ثم وليكم البازل الذكر الذي جرَّبتْه الأمور، وأحكمتْه التجارب مع الفقه وقراءة القرآن، والمروءة الظاهرة، واللين لأهل الحق، والوطء لأهل الزيغ؛ فكان رابعاً من الولاة المهديين الراشدين؛ فاختار الله له ما عنده، وألحقه بهم، وعهد إلى شِبْهه في العقل والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته؛ فاسمعوا له وأطيعوه.

أيها الناس؛ إياكم والزَّيْغ؛ فإن الزيغ لا يَحيق إلا بأهله؛ ورأيتم سيرتي فيكم، وعرفت خلافكم، وقَبلتكم على معرفتي بكم؛ ولو علمتُ أنّ أحداً أقوى عليكم مني، أو أعرف بكم، ما وليتُكم؛ فإياي وإياكم؛ من تكلم قتلناه؛ ومن سكت مات بدائه غماً! ثم نزل.

خطبة الحجاج لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد

أيها الناس، محمَّدان في يوم واحد! أما والله لقد كنتُ أحبّ أنهما معي في الدنيا مع ما أرجو لهما من ثواب الله في الآخرة؛ وأيم الله ليوشكن الباقي مني ومنكم أن يفنى، والجديد مني ومنكم أن يبلى، والحيّ مني ومنكم أن يموت؛ وأن تُدال[3] الأرض منا كما أُدِلنا منها؛ فتأكل من لحومنا؛ وتشرب من دمائنا؛ كما مشينا على

(1) المرو: حجارة بيض رقاق برّاقة تقدح منها النار.

(2) السَّلمة: شجر من العضاه يدبغ به.

(3) دال الدهر: انتقل من حال إلى حال، والأيام: دارت.

ظهرها، وأكلنا من ثمارها، وشربنا من مائها؛ ثم يكون كما قال الله ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يسّ: 51]. ثم تمثل بهذين البيتين:

عَـزائـي نـبـيُّ الله مـن كـلِّ مـيِّـتٍ وحـسْـبـي ثـوابُ الله مـن كـلِّ هـالـكِ
إذا مـا لَـقـيـتُ الله عـنـي راضـيـاً فـإنّ سُـرورَ الـنـفـسِ فـيـمـا هُـنـالـك

خطبة عائشة أم المؤمنين رحمها الله يوم الجمل

قالت: أيها الناس صَه صه؛ إنّ لي عليكم حق الأمومة، وحقَّ الموعظة؛ لا يتهمني إلا من عصى ربَّه؛ مات رسول اللهﷺ بين سَحْري[1] ونَحْري؛ فأنا إحدى نسائه في الجنة، له ادّخرني ربي وخلَّصني من كلِّ بُضع[2]؛ وبي مَيَّز مُؤمنكم من منافقكم، وبي أرْخصَ الله لكم في صعيد الأبواء؛ ثم أبي ثانِي اثنيْنِ الله ثالثهما؛ وأول من سُمِّي صِدِّيقاً، مضى رسول اللهﷺ راضياً عنه؛ وطوّقه أعباء الإمامة، ثم اضطرب حبل الدين بعده؛ فمسك أبي بطرفيه، ورتق لكم فتق النفاق، وأغاض[3] نبع الردة، وأطفأ ما حشّت[4] يهود؛ وأنتم يومئذ جُحْظُ العيون، تنظرون العدْوَة، وتسمعون الصيحة؛ فرأب الثَّأي[5]، وأَوَدَ[6] من الغِلظة، وامتاح[7] من الهُوّة؛ حتى اجْتَحى[8] دفين الداء؛ وحتى أعطن[9] الوارد، وأورد الصادر، وعلّ الناهل؛ فقبضه الله إليه واطئاً على هامات النفاق، مذكياً نار الحرب للمشركين؛ فانتظمت طاعتكم بحبله؛ فولي أمركم رجلاً مُرْعِياً إذا رُكِن إليه، بعيداً ما بين اللابتين إذا ضُلّ، عُرَكة[10] للأذاة بجنبه صفوحاً عن أذاة الجاهلين، يقظان الليل في نُصرة الإسلام؛ فسلك مسلك سابقيه؛ ففرق شمل الفِتنة، وجمّع أعضاد ما جمّع القرآن، وأنا نُصْب[11] المسْألة عن مسيري هذا؛ لم ألتمس إثماً، ولم أورِّث فتنة أوطئكُمُوها؛ أقول قولي هذا صدقاً وعدلاً، وإعذاراً وإنذاراً؛ وأسأل الله أن يصلي على محمد، وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين.

---

(1) السَّحْر: الرئة. «ومات بين سحري ونحري» أي وهو مستند إلى صدري.
(2) البُضع: الزواج وعقده.
(3) أغاض الماء: أنقصه.
(4) حشت: ملأت.
(5) الثأي: الجرح.
(6) الأوَد: الاعوجاج. يقال: قوّم أوده: أي اعوجاجه.
(7) امتاح: متح الشيء: قلعه. ويقال: متح فلان الدلو: جذب رِشاءها.
(8) اجتحى: استأصل وقلع.
(9) أعطن الإبل: أراحها بعد الورود لتعود فتشرب.
(10) العُرَكة: الذي يعرك الأذى بمعنى يحتمله.
(11) النُصب: المنصوب.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- آداب السلوك، تأليف الشيخ الجليل عبد القادر الجيلاني قدس الله سره، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول، قدم له الأستاذ محمد زكريا الزعيم، دار السنابل.
- أحسن المحاسن، لأبي إسحاق الرَّقي، نشر المكتبة السلفية بمكة ط1 (1970م).
- أخبار أبي حنيفة، للصيرمي، حيدر آباد، الهند (1974م).
- أخبار النساء، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1410هـ، 1990م).
- أخلاق العلماء، للآجري، مكتبة العرفان، دمشق (1972م).
- أدب الإملاء والاستملاء، للسمعاني، ليدن (1952م).
- أدب الدنيا والدين، تأليف الإمام أبي الحسن الماوردي الشافعي، تحقيق ياسين محمد السواس دار ابن كثير ـ دمشق/ بيروت، الطبعة الثانية (1415هـ، 1995م).
- الأدب المفرد للبخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية (1409هـ، 1989م).
- الأذكار، للنووي، مطبعة الملاح، حققه الشيخ عبد القادر أرناؤوط، (1391هـ، 1971م).
- إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، أحمد سعيد الدجوي، دار إقبال، ط1، (1416 هـ، 1996 م).
- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، (1411 هـ، 1991 م).
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، مطبعة بولاق، مصر (1323هـ).

- إعلام الأنام بفضائل وأحكام الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، عبد الله محمد عكور، ط1 (1416 هـ - 1995 م)، مطبعة البهجة أربد/ الأردن.
- إغاثة الطالبين، البكري، إحياء التراث العربي، بيروت.
- إغاثة اللهفان، ابن القيم، مطبعة مصطفى بابي الحلبي.
- إقامة الحجة، الإمام اللكفوي، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب (1996م).
- إقامة الصلاة وأسرارها، يوسف خطار محمد، مطبعة نضر ط1، (1999 م).
- الاستعداد للموت وسؤال القبر، تأليف زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي المعبري المليباري من علماء القرن العاشر الهجري، دار الترمذي، الطبعة الأولى، (1411 هـ، 1990 م)، سوريا.
- البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.
- بر الوالدين، تأليف محمد شريف الصواف، دار السنابل، ط1 (1417 هـ، 1996م).
- البركة في فضل السعي والحركة، لأبي عبد الله محمد الجيش، دار المعرفة (1406هـ).
- البرهان المؤيد للسيد الإمام أحمد الرفاعي - قدس الله سره - تحقيق عبد الله علي مسعود، دار الأنصاري/ حلب.
- بستان العارفين، للنووي، مطبعة إدارة الطباعة المنبرية، (1348 هـ).
- البصائر في تذكير العشائر، لمحمد عبد الحي الورتي، المكتبة العلمية في المدينة المنورة.
- بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر القرطبي - دار الكتب العلمية ببيروت/ لبنان.
- بين التصوف والحياة، تأليف الشيخ عبد الباري الندوي، مكتبة دار الفتح ط1 (1963 م).
- تاريخ الخلفاء، للإمام السيوطي، مطبعة السعادة، مصر (1952 م).
- التاريخ الصغير، للبخاري، الهند (1380 هـ).
- تاريخ بغداد، للخطيب، دار الكتب العلمية.
- تثبيت الفؤاد، الشيخ عبد الله الحداد رحمه الله تعالى. ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

- تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، للمباركفوري، مطبعة الاعتماد في القاهرة.
- التحفة المستطابة في كرامات بعض الصحابة، حلب (1390 هـ).
- تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام القرطبي، دار الرياض، ط2 (1407 هـ).
- ترتيب مختار الصحاح، للرازي، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر (1414 هـ، 1993 م).
- الترغيب والترهيب، للمنذري، دار إحياء التراث العربي بيروت (1968 م).
- تزكية النفوس، جمع وترتيب وتحقيق أحمد فريد، دار القلم، بيروت/ لبنان.
- تسلية أهل المصائب، محمد المنجي، دار البيان، ط3 (1413 هـ، 1992 م).
- التعرف لمذهب أهل التصوف، تأليف أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي ضبط أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى (1413 هـ، 1993 م).
- تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، (1984م).
- تفسير القاسمي، المسمى محاسن التأويل، القاسمي: محمد جمال الدين. ط1، (1415 هـ، 1995 م).
- تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير القرشي الدمشقي، دار الفكر، بيروت، (1412 هـ، 1992 م).
- تفسير القرآن الكريم، الشيخ محمد علي طه الدرة. دار الحكمة دمشق، بيروت ط1 (1412 هـ، 1991 م).
- تفسير روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، تأليف محمود الآلوسي البغدادي. دار الفكر بيروت (1408 هـ، 1987 م).
- تنبيه الغافلين تأليف الإمام الفقيه أبي الليث نصر بن محمد الحنفي السمرقندي حققه وعلق عليه يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية (1415 هـ، 1995 م).
- تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، للزملكاني.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر، دار صادر، بيروت (1968 م).

- الجامع الصغير، للسيوطي، تحقيق محمد محي الدين بن عبد الحميد، دار خدمات القرآن.
- جامع العلوم والحكم، ابن جب الحنبلي، تحقيق شعيب أرناؤوط وإبراهيم باجي، دار الرسالة ط2، (1412 هـ، 1991 م).
- جامع بيان العلم، لابن عبد البر، المنيرية مصر ط1 (1407 هـ).
- الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت (1985 م).
- الجامع لأخلاق الراوي، للخطيب، الرسالة ط1 (1412 هـ).
- جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنامﷺ، لابن القيم الجوزية.
- الجهاد في الإسلام، الدكتور محمد سعيد البوطي، دار الفكر دمشق، سورية ط1، (1414 هـ، 1993 م).
- الجواهر اللؤلؤية، محمد بن عبد الله الجرداني، دار كرم، دمشق.
- الحاوي للفتاوى، للشيخ جلال الدين السيوطي، المكتبة العصرية، تحقيق محمد عبد الحميد (1411 هـ، 1990 م).
- حقائق عن التصوف، للشيخ عبد القادر عيسى. الطبعة الخامسة (1414 هـ، 1993م).
- الحقيقة الباهرة، الشيخ أبو الهدى رضي الله عنه.
- حقيقة الصوفية، تأليف أبي سعيد التونسي، مكتبة الفارابي، دمشق.
- حكايا الصوفية، تأليف الطبيب الشيخ محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله، دار البشائر، دمشق.
- الحكايات المنثورة، للحافظ ضياء الدين المقدسي.
- حكم ابن عطاء الله السكندري، عبد المجيد الشرنوبي، علق عليه الدكتور عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، (1992 م).
- الحكم الإلهية، الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى، مطبعة كرم.
- حكم السيد أحمد الرفاعي (قدس الله سره)، حققه وعلق عليه عبد الغني نكة مي، دار الكتاب النفيس، ط1 (1408 هـ).
- الحكم العطائية، للإمام ابن عطاء الله السكندري، (1406 هـ، 1386 م) ط2 ضبط وتقديم الشيخ إبراهيم اليعقوبي.

- حكم لقمان الحكيم رضي الله عنه، يوسف خطار محمد، مطبعة نضر، دمشق ط1، (1999م).
- حلية الأولياء، أبو نُعيم الأصفهاني، دار الفكر بيروت، لبنان.
- حياة الحيوان الكبرى، للدميري، دار الفكر.
- حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار الريان، ط1، (1408 هـ، 1987م).
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ السيوطي، المطبعة الميمنية.
- الدر المنضود في الصلاة على صاحب المقام المحمود، ابن حجر الهيثمي دار المدينة المنورة، ط2، (1416 هـ، 1995 م).
- دلائل النبوة، لأحمد بن الحسين البيهقي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت (1405هـ).
- ذم الكذب وأهله، تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول، دار السنابل الطبعة الأولى (1414 هـ، 1993 م)، دمشق.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله.
- الرعاية لحقوق الله، الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4.
- الروح، لابن قيم، تحقيق يوسف علي بديوي، دار ابن كثير.
- الروض الفائق في المواعظ والرقائق، العلامة الشيخ الحريفيش، دار البشائر دمشق، ط1، (1412 هـ، 1992 م) تحقيق وتدقيق الشيخ خالد العك.
- روضة العقلاء، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، شرح وتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية (1397 هـ، 1977 م).
- الزاد المفيد لأهوال يوم الوعيد، يوسف خطار محمد، ط1 (1419 هـ، 1999 م).
- الزهد، لأحمد بن حنبل، دار الكتاب العربي، تحقيق بسيوني، ط1 (1406 هـ).
- الزواجر على اقتراف الكبائر، تأليف الشيخ ابن حجر الهيثمي، مطبعة البابي (1398 هـ، 1987 م).
- سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين، العلامة يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت.

- سمير المؤمنين في المواعظ والحكم والقصص، تأليف محمد الحجّار، الطبعة السابعة، (1411 هـ ـ 1991 م)، دار البشائر الإسلامية بيروت، لبنان.
- سنن أبي داود، تعليق محي الدين عبد المجيد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن الدارقطني وبذيله التعليق المغني على الدارقطني، لأبي الطيب محمد آبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان (1413 هـ، 1993 م).
- سنن الدارمي، دار الريان (1407 هـ)، دار الفكر.
- سنن النسائي، دار البشائر الإسلامية ط3، (1409 هـ).
- سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط1 (1414 هـ، 1994 م).
- السير والمساعي في أوراد وأحزاب الرفاعي قدس الله سره، جمعه ورتبه السيد إبراهيم الراوي. ط1، (1413 هـ، 1992 م).
- السيرة المرضية في ترجمة مؤسسي الطرق الصوفية (للمؤلف) الطبعة الأولى، تنفيذ المركز العربي دمشق (1998 م).
- سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن عبد الحكم، المكتبة العربية دمشق (1966 م).
- شذرات الذهب، لابن العماد الدمشقي، دار ابن كثير. دمشق بيروت ط1 (1413 هـ، 1992 م).
- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، تأليف الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي شرح وتعليق محمد حسن الحمصي، دار الرشيد (1406 هـ، 1986 م).
- شرح رسالة المسترشدين، لأبي عبد الله الحارث المحاسبي تحقيق العلامة الشيخ عبد القتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، الطبعة الثامنة، بيروت.
- شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، ط1 (1414 هـ، 1994 م).
- شرح كتاب الفقه الأكبر، الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1404 هـ، 1984 م).
- شعب الإيمان للصاغرجي، دار الكلم الطيب دمشق ـ بيروت، ط1، (1418 هـ، 1997 م).

- شعب الإيمان، لأحمد بن حسين البيهقي، طبعة دار الكتب العلمية (1410 هـ).
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للشيخ علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب أرناؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة (1414 هـ، 1993 م).
- صحيح ابن خزيمة تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية (1412 هـ، 1992 م).
- صحيح البخاري، مطبعة بولاق بمصر (1314 هـ).
- صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت.
- الصدق منجاة وويل للكاذبين، للدكتور صبري أحمد الإبراهيم، الطبعة الأولى (1415 هـ، 1995 م)، مكتبة الفارابي، دمشق.
- صفة الصفوة، لابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق محمود فاخوري، تخريج محمد قلعة جي، ط3، (1405 هـ، 1985 م).
- صفحات مشرقة من حياة السابقين، جمع وتصنيف نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية ط2، (1415 هـ، 1994 م).
- الصلاة على النبي، للشيخ عبد الله سراج الدين.
- الصلاة والتهجد، ابن الخراط، تحقيق عادل أبو المعاطي، نشر دار الوفاء، المنصورة.
- صون الإيمان من عثرات اللسان، محمد أديب كلكل، تقديم محمد منير لطفي، ط3، المطبعة العلمية، (1413 هـ، 1993 م).
- صيد القلم، خالد سيدي علي، اليمامة دمشق ـ بيروت، مكتبة التراث والإيمان الكويت ط1، (1418 هـ، 1998 م).
- الطب النبوي، للشيخ ابن قيم الجوزية، علق عليه وخرّج أحاديثه الشيخ شعيب أرناؤوط والشيخ عبد القادر أرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية (1402 هـ، 1982 م)، ط2.
- طبقات ابن سعد، دار صادر.
- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، البابي الحلبي، الطبعة المحققة (1998 م).
- طبقات الصوفية، الإمام السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، دار الكتاب النفيس، ط2، (1406 هـ، 1986 م).
- طلب العلم، الشيخ أسعد الصاغرجي، ط1، مطبعة الشام، دمشق (1415 هـ، 1994 م).

- العقد الفريد، لابن عبد ربه، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (1965 م).
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، إدارة الطباعة المنيرية (1348 هـ).
- عمل اليوم والليلة، لأبي بكر ابن السني. مكتب الكليات الأزهرية (1389 هـ).
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح ابن قيم الجوزية.
- عيادة المريض، الشيخ أسعد الصاغرجي، ط1، مطبعة الشام، دمشق (1415 هـ - 1994 م).
- عيون الأخبار لابن قتيبة وزارة الثقافة والإرشاد، مصر (1963 م).
- غرائب الأخبار من حياة السلف والأخيار بقلم خالد سيد علي، الطبعة الأولى (1410 هـ، 1990 م)، مكتبة دار التراث، الكويت.
- الغنية لطالبي طريق الحق، للشيخ عبد القادر الجيلاني، دار الكوثر (1996 م).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبعة البابي الحلبي، القاهرة (1385 هـ).
- الفتح الرباني، عبد القادر الجيلاني، دار المعرفة.
- فتوح الغيب، للشيخ عبد القادر الجيلاني، مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر (1330 هـ).
- الفروق، للقرافي، دار إحياء الكتب العربية.
- فقه السيرة النبوية، للدكتور البوطي، دار الفكر (بيروت - دمشق) ط10، (1411 هـ، 1991 م).
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار الحديث، القاهرة (1093 هـ).
- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط4 (1415 هـ، 1994 م).
- قطوف دانية من شجرة الحكم العالية، الشيخ الطبيب محمد أبو اليسر عابدين. دار البشائر، ط1، (1983 م).
- قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، تأليف العلامة المحدث أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي المغربي رحمه الله، ضبط وتعليق فضيلة العلامة إبراهيم اليعقوبي، مطبعة الملاح.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، للشيخ أبي طالب المكي تحقيق سعيد نصيب مكارم، الطبعة الأولى

(1995 م)، دار صادر، بيروت/ لبنان.

- الكامل لابن عدي، دار الفكر، ط3 (1409 هـ).
- كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، محمد بن سعود العريفي، دار عالم الفوائد ط1، (1418 هـ).
- كتاب التوابين، تأليف الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، حققه وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الثانية (1389 هـ، 1969 م).
- كرامات الأولياء، تأليف الشيخ أبو محمد الحسن بن محمد الخلال حققه وعلق عليه عبد الجليل العطا، ط2، (1412 هـ، 1992 م).
- الكفاية في علم الرواية، للخطيب، حيدر آباد، الهند (1357 هـ).
- كنز العمال، لعلاء الدين الهندي، دار البلاغة بحلب (1390 هـ).
- اللباس والزينة، الشيخ أسعد الصاغرجي، ط1، مطبعة الشام، دمشق (1415 هـ، 1994 م).
- لسان العرب، لابن منظور، بولاق، المطبعة المحمودية بمصر (1290 هـ).
- لطائف المعارف، للشيخ ابن رجب الحنبلي، حققه ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، ط3 (1411 هـ، 1995 م).
- اللمع، لأبي نصر السرّاج الطوسي، حققه وقدم له الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر.
- مجمع الزوائد، للهيثمي، دار الكتاب العربي الطبعة الثالثة (1402 هـ، 1982 م).
- المجموع (شرح المهذب)، للإمام النووي، دار الفكر، ويليه فتح العزيز الوجيز ويليه التلخيص الخبير لابن حجر العسقلاني.
- مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية، ط1 (1398 هـ).
- المجموعة النادرة لأبناء الآخرة، السيد محمد مهدي الرواس، تحقيق وجمع الشيخ عبد الحكيم عبد الباسط رحمه الله تعالى، دار البشائر.
- محاضرات الأدباء، الراغب الأصفهاني، المطبعة الشرفية (1326 هـ).
- محبة النبيﷺ وطاعته، خليل إبراهيم الغرامي، دار القلم حلب ط1 (1417 هـ، 1996 م).
- المحدث الفاصل، للرامهرمزي، دار الفكر، ط2 (1404 هـ).

- مختصر جامع بيان العلم وفضله، اختصره أحمد البيروتي.
- مختصر رونق المجالس، عثمان بن يحيى الميري، دار الإيمان (1415 هـ، 1985م).
- مختصر قيام الليل، للمروزي، نشر حديث أكاديمي باكستان.
- مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، دار الهجرة، تحقيق شعيب أرناؤوط.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق عماد عامر، الطبعة الأولى (1416 هـ، 1996 م)، دار الحديث، القاهرة.
- المذاكرة مع المحبين من أهل الخير والدين، الشيخ عبد الله علوي، عني بها الشيخ عبد الحكيم عبد الباسط رحمه الله تعالى.
- مستدرك الحاكم، النيسابوري، دار المعرفة، بيروت.
- المستطرف في كل فن مستظرف، للإمام العالم شهاب الدين بن محمد الأبشيهي، تحقيق الدكتور عبد الله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت، لبنان.
- مسند أبي يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى.
- مسند الإمام أحمد، ط2 (1398 هـ) المكتب الإسلامي، بيروت.
- مسند البزار، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، مكتبة العلوم المدينة المنورة، ط1 (1409 هـ).
- مسند الشهاب، للقضاعي، الرسالة، الطبعة الثانية (1407 هـ).
- مصنف ابن أبي شيبة الكوفي العبسي، دار الفكر، تعليق سعيد اللحام (1414 هـ، 1994 م).
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- المعجم الأوسط للطبراني، مكتبة المعارف، تحقيق الطحان.
- المعجم الكبير للطبراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لفؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، ط2 (1411 هـ، 1991 م).
- معجم حكمة العرب، إعداد أمل شلق، دار الكتب العلمية بيروت (1411 هـ، 1991 م)، ط1.

- المعلقات العشر: دراسة ونصوص، فوزي عطوي، الشركة اللبنانية، بيروت.
- المغني، لابن قدامة المقدسي، تحقيق د: عبد الله التركي، د: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة هجر، ط2 (1413 هـ، 1992 م).
- المقاصد الحسنة، للسخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1 (1407 هـ، 1987 م).
- مكاشفة القلوب، للإمام الغزالي، دار إحياء العلوم. بيروت، ط1 (1403 هـ، 1983 م).
- من مشكات النبوة، شرح الأربعين النووية، تحقيق وشرح العلامة الشيخ صالح الفرفور، ط1، (1389 هـ، 1968 م).
- مناقب الشافعي، للبيهقي، دار التراث، مصر.
- منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، دار ابن كثير، ط6 (1417 هـ، 1996 م).
- مواعظ ومواقف للعلماء والصالحين أمام الحكام والسلاطين، تأليف أحمد رضوان أبو الخير دار أم البنين، القاهرة.
- الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية، يوسف خطار محمد ط1، دار كنان.
- الموطأ، للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان.
- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، تأليف العلامة محمد جمال القاسمي. دار النفائس ط3، (1404 هـ، 1984 م).
- نزهة المجالس ومنتخب النفائس، للعلامة الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي، دار المحبة، مراجعة عبد الرحيم مارديني، الطبعة الأولى (1413 هـ).
- نشر العلم، الشيخ أسد الصاغرجي، ط1، مطبعة الشام، دمشق (1415 هـ، 1994م).
- نشر المحاسن الغالية، اليافعي، دار الكتب العربية بمصر (1329 هـ).
- نشر وطي التعريف في فضل حملة العلم الشريف، العلامة جمال الدين الحبشي، دار المنهاج، ط1، (1417 هـ، 1997 م).
- النظام الخاص لأهل الاختصاص، الإمام الرفاعي، حققه وعلق عليه عبد الغني، دار الكتاب النفيس. ط2، (1414 هـ).
- نور التحقيق، حامد صقر، دار التأليف بمصر (1369 هـ).

- هكذا تكلم الأولياء والصالحون، جمع أحمد حسين كعكو، تحقيق حمدي زمزم، دار الإيمان، الطبعة 1 (1410 هـ، 1990 م).
- وأخلص العمل فإن الناقد بصير، تأليف عبد الرحمن النجري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، (1416 هـ، 1996 م) بيروت/ لبنان.
- وصايا ومواعظ العلماء للأمراء، بقلم خالد سيد علي، الطبعة الأولى (1410 هـ، 1990 م)، دار التراث، الكويت.
- الوصايا، للحارث المحاسبي. مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة (1384 هـ).
- وفيات الأعيان لابن خلكان، دار صادر، بيروت.
- اليواقيت والجواهر، الشعراني، دار الأزهرية المصرية (1305 هـ).